إشكالية القيم بين الإنسان والبيئة

دراسة تطبيقية فى فلسفة "هولمز رولستون" الإيكولوجية.

د.معتز أحمد أحمد أحمد إبراهيم أبو الخير*

Motaz.aboelkair@mans.edu.eg

ملخص

يعد "هولمز رولستون" من أهم الفلاسفة المعاصرين المهتمين بمجال الايكولوجيا وخاصة القيم الايكولوجيا والأخلاق. وتعود أهميته إلى اختلافه عن أتباع النظرة الكلاسيكية للأخلاق لاسيما النفعية...الخ ـ والتى اتخذت من الانسان وحده منبعًا للقيم والأخلاق. فتعد المنفعة التى يرغبها الانسان وحدها الخير الأقصى أى المرغوب فيه لذاته دون نتائجه، والضرر والألم وحده الشر الأقصى، وجعلت من هذه المبادىء نبراسًا للسلوك الإنسانى.

أما "رولستون" فقد تحرر من هذه النظرة الكلاسيكية الضيقة للأخلاق والقيم ، فلم تعد الأخلاق والقيم عنده محصورين فى الإنسان وحده، أى أنه الكائن الوحيد القادر على إصدار الحكم القيمى، وإنما هناك طرف أخر فى المعادلة قد ظهر من خلال مفهوم"اتساع المجال الخُلقى" ألا وهو الطبيعة. لكلٍ منهما قيمه المختلفة.

وتعرف تلك النظرة الجديدة لـ "رولستون" بالرؤية الشاملة للقيم الإيكولوجية، والتى تدور حول تقييم الطبيعة بكافة محتوياتها من أنواعٍ وأجناسٍ وأفرادٍ ـ فلا تختص تلك الرؤية بنوع بعينه أو جنس أو فرد. مثلما كان يتم النظر فى السابق إلى حد بعينه من حدود المعادلة البيئية، كما لا تتجاهل رؤيته فى الوقت نفسه التطور الطبيعى لأطوار النظم البيئية المختلفة منذ نشأتها وصولاً لما هى عليه الآن، فضلاً عن التمييز بين إملاءات الطبيعة على الإنسان، أى تأثر الإنسان بالطبيعة، وكذلك ثقافته، وهذا ما نحتسبه تجديدًا.

* د. معتز أحمد أحمد أحمد إبراهيم أبو الخير . مدرس فلسفة القيم بكلية الاداب ـ جامعة المنصورة.

يقول "رولستون" واصفًا الطبيعة:

" إنها ينبوع الحياة، ولعلنا نشعر بنوع من الوعد فى الطبيعة ليس فقط بمعنى القوة الكامنة الواعدة ، وإنما أيضا من حيث الحصول على الاستقرار والثبات على الأرض من أجل الحياة ".

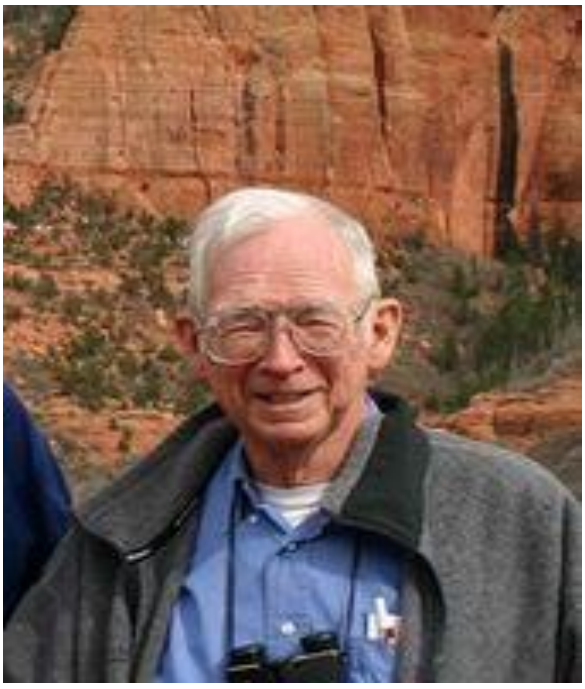

"هولمز رولستون الثالث(١٩٣٢م -) Rolston III,Holmes"

محتويات البحث

تمهيد ...

(أولاً): ثنائية القيم: الإنسان والطبيعة.

(أ)مركزية الذات الإنسانية (الإنسان مالكًا للقيم).

(ب) استقلالية الطبيعة (الطبيعة حامله للقيم).

(ثانياً): رؤية "رولستون" الشاملة للقيم الإيكولوجية .

(أ)رؤية "رولستون" الشاملة للطبيعة (بوصفها حامله للقيم).

(ب)أنواع القيم التى تحملها الطبيعة.

(جـ) رؤية "رولستون" الشاملة للإنسان (السمو الإنسانى).

(ثالثاً): الرؤية الشاملة لـ "رولستون" فى التفاعل بين الإنسان والطبيعة .

(أ) طبيعة التفاعل بين الإنسان والطبيعة .

(ب) القيم الشاملة الناتجة من التفاعل بين الإنسان والطبيعة .

(رابعاً): قيمة القداسة بوصفها حلاً .

(أ) تبرير "رولستون" لقيمة القداسة.

(ب) ملامح قيمة القداسة عند "رولستون" فى فلسفته الايكولوجية.

الخاتمة ونتائج البحث.

تمهيد...

مما لا شك فيه أن جوهر الفلسفة الأخلاقية الكلاسيكية ظل متمركزًا حول الاهتمام بالسلوك الإنسانى وما ينبغى أن يكون عليه تجاه الآخرين فضلاً عن إلقاء العيوب على الغاية التى ينبغى أن يقصدها البشر فى سلوكياتهم . فلقد أتت المذاهب الأخلاقية الكلاسيكية معبرةً عن ذلك.

فها هى "الأخلاق النفعية"- على سبيل المثال - قد اتخذت من المنفعة وحدها الخير الأقصى أى المرغوب فيه لذاته دون نتائجه، والضرر والألم وحده الشر الأقصى، وجعلت من هذه المبادىء نبراسًا للسلوك الإنسانى؛ حيث إن الأفعال الإنسانية لا تكون خيرًا إلا متى تحققت أو توقعها صاحبها من ورائها نفعًا، فإن أدت إلى ضرر كانت شرًا. كذلك "الأخلاق الكانطية" فبالرغم من اختلافها عن "الأخلاق النفعية" من حيث اهتمامها بالفعل الإنسانى فقط دون الاهتمام بنتائجه، إلا أنها أيضا قد أعلت من شأن السلوك الإنسانى من خلال الحديث عن الإرادة الخيرة والتى تتمثل فى العمل بمقتضى الواجب لذاته.

من خلال تلك النظرة الكلاسيكية الضيقة تتبع الأنانية الإنسانية؛ فلقد أصبح الإنسان مهيمنًا على كافة ما يوجد فى الطبيعة، كل ما فيها مسخر لخدمته هو وحده، فهو السيد الذى لا يستطيع النظر إلى من هو أدنى منه، بل يمكن القول إنه الوحيد المالك للقيمة. ولكن سرعان ما بدأ يتخلى عن غروره بعدما بدأت ترد الطبيعة على غطرسته من خلال نضوب مواردها جراء استخدام الإنسان الجائر لها، فضلاً عن ارتفاع نسبة التلوث العالمى الذى أدى إلى وجود خلل داخل التوازن البيئى ...الخ.

كل ذلك جعل الإنسان يشعر بوجود طرف آخر فى المعادلة البيئية ألا وهو "الطبيعة" بكافة محتوياتها. من هنا ظهر مفهوم أخلاقى جديد وهو "اتساع المجال الخُلقى Moral Expanding"(*)الذى يجمع بين البشر والبيئة الطبيعية بكافة محتوياتها معًا، فقد أصبح البشر والطبيعة للمرة الأولى وجهًا لوجه أمام مناقشة قضايا الموارد الطبيعة التى تنضب باستمرار وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل.

ويعد" ألدو ليوبولد(١٨٨٧م -١٩٤٨م) Leopold,Aldo"(**)الأب المؤسس للعلوم البيئية الحديثة، فقد عمل على تطبيق مجموعة من القيم الأخلاقية بمفهومها الواسع على النظريات الأخلاقية والفلسفية واللاهوتية فى الواقع العملى. واستنتج أن الإنسان ليس وحده مالكًا للقيمة وإنما الطبيعة أيضًا.

هذا ما استرعى انتباه"هولمز رولستون (١٩٣٢م -) Rolston III,Holmes"(***) فيلسوف الدراسة الحالية،فليس الإنسان وحده فقط أو الطبيعة وحدها مالكة للقيمة، وإنما كانت لدية نظرة شاملة ممتزجة باللاهوت، جعلته مختلفًا عن غيره ممن اهتم بهذا المجال.

من هنا تكمن أهمية البحث؛ فلم تعد الأخلاق والقيم محصورين فى الإنسان وحده، أى أنه الكائن الوحيد القادر على إصدار الحكم القيمى، وإنما هناك طرف أخر فى المعادلة قد ظهر من خلال مفهوم"اتساع المجال الخُلقى" ألا وهو الطبيعة. لكلٍ منهما قيمه المختلفة التى حاولنا توضيحها فى البحث. لهذا بدء يتساءل الفرد: أليس جيدًا للنباتات والحيوانات ...الخ (سواء أكانت سليمة أو مصابة) أن تكون مستقلة عن الملاحظ ؟ ، هل نحن فى أمس الحاجة إلى أخلاق بيئية جديدة؟.

أما عن أبرز تساؤلات البحث فهى نابعة من الإشكالية الأساسية المتعلقة بماهية العلاقة الايكولوجية بين الإنسان والطبيعة ؟ كالتالى:

س١. كيف نظر "رولستون" إلى صراع الثنائية التقليدية فى القيم البيئية: الخاصة بـ "الإنسان والطبيعة"؟. وهل ينبغى تبنى رؤية تتمحور حول الإنسان والإعلاء من شأنه على حساب الطبيعة والموجودات الأخرى، أم تبنى رؤية مختلفة عن ذلك؟.

س٢. ما طبيعة رؤية "رولستون" الشاملة للقيم الإيكولوجية لحل الصراع بين الثنائية السابقة؟،أى كيف استطاع "رولستون" من خلال رؤيته الشمولية حل النزاع التقليدى الدائر حول منبع القيم، هل يعد الإنسان وحده منبعًا لها أم الطبيعة وحدها؟

س٣. هل استمر الصراع بين طرفى الثنائية السابقة إلى نهاية فلسفته أم أن هناك تفاعلاً بينهما؟، وما الكيفية وما القيم الناتجة عنه؟، وما مكانة الكائنات الأخرى فى منظومة القيم عند "رولستون"؟.

س٤. كيف انعكست دراسته للاهوت وعمله قسًا بإحدى الكنائس على فلسفته الإيكولوجية(***)؟ وكيف استطاع تطويع فكرة"القداسة" داخل فلسفته الإيكولوجية؟ وما ملامحها؟.

وبناءً على ذلك قسمنا البحث إلى أربعة موضوعات رئيسة:

الموضوع الأول ؛ ثنائية القيم: "الإنسان ـ الطبيعة".

نحاول فيه بيان نواة ظهور هذه الثنائية، وإيضاح أبرز عيوبها كلُ على حده، وكيف وجه "رولستون" النقد إليها.

الموضوع الثانى؛ رؤية "رولستون" الشاملة للقيم الإيكولوجية

نحاول فيه بيان ماهية "الرؤية الشاملة" عند "رولستون"، وإثبات مدى استقلالية الطبيعة، فضلا عن إثبات القيم التى تحملها الطبيعة بعيدًا عن الإنسان. بالإضافة إلى رؤية "رولستون" للسمو الإنسانى.

الموضوع الثالث؛الرؤية الشاملة لـ"رولستون" فى التفاعل بين الإنسان والطبيعة. نحاول فيه بيان كيف يحدث التفاعل بين الإنسان والطبيعة ، القيم الشاملة الناتجة عن هذا التفاعل مثل : "القيم الوسيلية"، و" القيم الجوهرية"، و" القيم النسقية".

الموضوع الرابع ؛قيمة القداسة بوصفها حلاً .

نحاول فيه بيان كيف استطاع "رولستون" تطويع فكرة "القداسة" داخل فلسفته الإيكولوجية والكشف عن ملامحها ودورها فى حل الإشكاليات البيئية والأزمات التى قد تنتج عن الثنائية السابقة؟

<u>أما عن المنهج المستخدم في هذه الدراسة</u>:المنهج التحليلي النقدي الذي يظهر من خلال عرضنا أفكار"رولستون" المتعلقة بالقيم الإيكولوجية والعمل علي تحليلها وبيان آرائه في هذا الصدد.

ومن الصعوبات التي واجهت هذا البحث هو ندرة المصادر العربية أو الأجنبية الموجودة في المكتبات العربية.

(أولاً): ثنائية القيم: " الإنسان ـ الطبيعة ".

لا شك أن نواة الوعى البيئى قد بدأت تتفاقم عندما بدأ فلاسفة البيئة- لاسيما "رولستون"- يلاحظون تأثر البيئة بأشكال التلوث المختلفة، وذلك فى العقود الأخيرة من العصر الحديث عصر "التصنيع"، وبداية إدراك الضرر الذى أحدثه وسيحدثه التلوث الناتج عن التصنيع[١](*). وبالرغم من ذلك فمازال إنسان اليوم يمارس على البيئة اعتداءاتٍ كثيرة تفوق من حيث طبيعتها ونطاقها ما كانت تمارسه الأجيال السالفة. فقد أوجد ـ بما أحرزه من تقدم تكنولوجى ـ بيئة جديدة متغيرة ذات قطيعة مفاجئة عن الماضى، مليئة بالأزمات المختلفة والتى تثير فى نفس الإنسان الحديث عن مشاعر القلق والافتقار إلى الجذور. [٢]

لذلك ليس بمستغرب أن تأتى أكثر التوصيفات تعبيرًا عن هذا العصر معبرةً عن الإنسان وسيادته وقيمه ـ ولم لا وهو صانع الأزمات! ـ. فقد أصبح الإنسان بالرغم مما أحدثه فى البيئة من أضرار هو الكائن الوحيد الذى يحمل قيمة فى حد ذاته، فى حين أن كل ما عداه من أشياء بقىّ خاضعًا لتقييمه الخاص . متجاهلاً بذلك خطورة تطاوله على الطبيعة، فقد نسى أنه جزء مكمل للأنظمة البيئية، له حقوق وعليه واجبات. حتى بلغت الأزمات ذروتها فى عصرنا الراهن. وأدرك الإنسان مؤخرًا مدى خطورتها، وأن العلم الذى كان سببًا فى سعادته أصبح اليوم نظرًا إلى سوء الاستخدام سببًا لشقائه. [٣]

من هذا المنطلق تظهر ثنائية الصراع بين الإنسان والطبيعة، كلُ يريد استغلال الآخر من أجل فرض هيمنته وقيمه المختلفة؛ فالإنسان يريد إعمال عقله من أجل تسخير الطبيعة مستغلاً مواردها المختلفة فى تحقيق سيادته،

وبذلك يصبح الإنسان وحده مالكًا للقيم ومؤسسًا لها. كذلك الطبيعة لا تخضع إلى استغلال الإنسان الخاطىء غير الواعى لمواردها،وذلك بسبب قيمها الخاصة بها كما سيرد ذكره لاحقًا.

ذلك الصراع الذى فطن إليه عديد من فلاسفة البيئة لا سيما "هولمز رولستون ، الذى رأى أن هناك من يهتم بمركزية الذات الإنسانية فى مواجهة الطبيعة، وهناك من يهتم بالطبيعة فى مواجهة الذات الإنسانية ـ كما سنوضحه تفصيلاً ـ . إلا أنه سعى فى مؤلفه: "الأخلاق البيئية Environmental Ethics" للوصول إلى نوع من المواءمة المُرضية والقائمة على أساس الحفاظ على الأرض بكل محتوياتها؛ من خلال التوفيق بين الإنسان وما تمليه ثقافته عليه من جانب، والطبيعة من جانب آخر، وذلك بتقديم نظرة أكثر شمولية للطبيعة.

وللوقوف على حقيقة هذا النزاع وموقف "رولستون" منه يجب البدء بالتعرف على كل جانب منهما على حدة وموقف "رولستون" منه، وذلك من خلال طرح التساؤل التالى:هل ينبغى تبنى رؤية تتمحور حول الإنسان والإعلاء من شأنه على حساب الطبيعة والموجودات الأخرى، أم رؤية لا تجعله فى دور؟.

(أ)مركزية الذات الإنسانية: (الإنسان مالكًا للقيم).

إن نظرة الذات الإنسانية إلى الطبيعة ومن ثم بزوغ مركزيته قد تطورت بتطور الحقب الفلسفية المختلفة. بدءًا من التصور الكلاسكيى إلى التصور الحديث مرورًا بالتصور الدينى.

أما عن التصور الكلاسيكى: فتظهر دلائله فى نظرة الإنسان إلى الطبيعة والتى تعد بمثابة نظرة بدائية التوجه ونفعية أيضا. فغالبًا ما ينظر إلى

الجانب المادى للطبيعة فقط مُهملاً الجانب الروحى، أى ينظر إلى الطبيعة باعتبارها موردًا لا نهائيًا لا ينضب. وهذا ما تحقق فى سعيه نحو تحقيق أقصى استغلال ممكن لموارد الطبيعة. حتى إن الإنسان البدائى قد جعل غزو الطبيعة فى صدارة اهتماماته.

فالطبيعة المادية كانت تمثل بالنسبة للإنسان البدائى تهديدًا هائلاً لبقائه... حيث كان يعتقد أن ظُلمة الغابات دائمًا ما تُخبىء الوحوش والهمجيين، مما يؤرق أمنه وراحته. ومن ثم؛ ومن أجل الحصول على كافة ضروريات الحياة كالطعام والمأوى...الخ كان لِزامًا عليه التغلب على خطر الطبيعة الغريبة عنه. فكان موقفه عدائيًا ونفعيًا[٤]. وليس هذا المنظور الكلاسيكى الوحيد فحسب.

فمن جانب آخر يعد تجرؤ الإنسان على استغلال الطبيعة نابعًا من إحساسه بعظمة نفسه، وبكونه أنبل الموجودات وتفرده عما يوجد فى الطبيعة من أشجار وحيوانات...،وهذا ما أكدته الفلسفات اليونانية:

فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ يقول"أفلاطون(٤٢٧ق.م ـ ٣٤٧ ق.م) Plato"فى محاورة فايدروس: "**لتكن سمحًا معى ياعزيزى فأنا أحب العلم،لكن الريف والأشجار لا ترضى بتعليمى شيئًا**"[٥]. وكذلك "أرسطو(٣٨٤ق.م ـ٣٢٢ق.م) Aristotle" عندما رأى جميع ما دون الإنسان من حيوانات ونباتات مسموح للإنسان باستغلاله ويقول:"**لذلك ترى الثمار والحيوانات تكون مادة طبيعية يعرف الناس أجمعون أن يستغلوها**"[٦].

ولهذا يُرجع " بول تايلور(١٩٢٣م ـ ٢٠١٥م) Paul w.Taylor "[(*)] بداية وأصول فكرة مركزية الذات الإنسانية وأسبقيتها على سائر الموجودات ووضعها فى سياق فلسفى إلى فلاسفة اليونان القدماء . فهم ـ فى تصوره ـ أول

من قدموها إلى الحضارة الغربية، عندما نسبوا العقل والفكر إلى الإنسان وحده دون سائر الموجودات، وهو ما ترتب عليه انفصال الإنسان عن عالمه الطبيعى وعن سائر الموجودات لشعوره بالتفوق والامتياز والسمو. وهذا ما عبر عنه تايلور قائلاً :"**إن السمو المتأصل للبشر على الأنواع الأخرى كان متضمنًا فى تعريف فلاسفة اليونان للإنسان بأنه حيوان عاقل. فالعقل قد تمت رؤيته ليس كشىء جوهرى وفريد فحسب، بل على أنه يمنح الإنسان أيضًا نوعًا من الجدارة والاستحقاق، ويعطى له قدرًا من النبل والكرامة التى تغيب عن سائر الموجودات غير العاقلة**".(٧)وبهذا يؤكد التصور الكلاسيكى بشكلٍ عام على الإعلاء من شأن الإنسان مقابل الطبيعة. تلك النظرة التى تعد نظرة متدنية للطبيعة .

أما عن التصور الدينى: فتظهر دلائله أيضا فى الإعلاء من شأن الإنسان وذاتيته من خلال الديانات السماوية المختلفة(اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام). فلم يعمل "تايلور" مثلاً على إلصاق جذور مركزية الذات الإنسانية إلى المدرسة اليونانية فقط، بل الأخطر- من وجهة نظره ـ هو انتقال هذه النظرة إلى الديانة اليهودية والمسيحية فى العصور الوسطى فأضافت كل منهما على الذات هالة من القداسة، حيث يتجلى فى طابع هاتين الديانتين مصطلح"السلسلة العظمى للوجود The Great Chain of Being"(*). فالكون وفقًا لهذا المصطلح مكون من سلسلة لا متناهية من الموجودات، تحكم علاقتها الحتمية الهيراركية التى لا تتغير ولا تتبدل. وتبدأ هذه السلسلة بالقيمة الأسمى، وتنتهى بالأدنى والأقل، وهو ما رأى فيه "تايلور" تدعيمًا لمركزية الإنسان وسموه على

سائر الموجودات التى تليه فى الدرجة داخل هذه السلسلة، وهو ما عّمق الفجوة بين الإنسان وغيره من المخلوقات(٨).

أما عن التصور الحديث: فتظهر دلائله فى هيمنة رؤية نيوتن الميكانيكية للطبيعة التى ترى أن الطبيعة ما هى إلا قوانين ميكانيكية ومركبات فيزيائية صلبة، أما الجمال والقيمة فلا وجود لهما إلا عند الإنسان: "**إن الطبيعة تشبه الآلة، أو بشكل عام الطبيعة هى آله، وتتكون هذه الطبيعة من جزيئات صلبة غير قابلة للرد، ليس لها لون أو طعم أو مذاق...الجمال والقيمة المرتبطان بالطبيعة لا يوجدان إلا فى عيون الملاحظ، فالطبيعة هى ذلك الشىء الميت الذى يدركه العقل، حيث إنه يلاحظ ويراقب من موضع الانفصال الموضوعى. لذلك تعد الطبيعة فى حد ذاتها مركبًا مغلقًا من القوى الفيزيائية التى تعمل على الجزيئات عديمة اللون والمذاق والرائحة للمادة الصلبة الميتة ـ إنها تلك الرؤى الميكانيكية للطبيعة التى كانت مقبولة بشكل عام فى حلقات المتعلمين والمثقفين فى القرن التاسع عشر**"(٩).

وتدل الفقرة السابقة على جوهر الرؤية الميكانيكية للطبيعة، ونظرة الإنسان إليها بوصفها آله مادية مسخره لخدمته هو فقط دون غيره من الكائنات الأخرى، مما رسخَّ فى ذهنه عدم نضوب موارد الطبيعة، حيث أضحت الطبيعة بالنسبة إليه مكانًا يرتاده باستمرار مهما كان بعيدًا عنه وفى أى وقت يشاء.

" **فمثلما كان شعور المستعمر دائمًا بوجود مكان بعيد يمكن الذهاب إليه وقتما شاء، كان "الحطاب Lumberman" يؤمن بوجود مكان آخر بعيد حيث ينتظره المزيد من الخشب هناك** "(١٠).

وبناءً على ماسبق يمكن القول أن التصورات السابقة تعبر عن عدة أفكار؛ تمخضت عنها مركزية الذات الإنسانية.**أولى هذه الأفكار** تدعيم الانفصال بين الإنسان والطبيعة، وهو ما أكد عليه "نورتن براين Bryan, G.Norton"(*):"**هناك شيئان فقط على هذه الأرض المادية- الأفراد والموارد الطبيعية**"(١١). **أما ثانى هذه الأفكار** دعمها لوجود انقسام ديكارتى وهمى بين الطبيعة والثقافة الإنسانية، وهذا الانقسام فى حقيقته قائم على التمييز بين ثنائية "النفس" و"الجسد" فالنفس شديدة الوضوح ولا تستند فى جلائها إلى شىء آخر، بعكس الجسد الذى عزا إليه صفات كمية قابلة للقياس لا متناهية.

يقول "ديكارت": "**إن النفس التى أنا بها متمايزة تمام التمايز عن الجسم، بل وهى أيسر أن تُعرف. وإن لم يكن الجسم موجودًا البتة، كانت النفس موجودة كما هى بتمامها... ولما كانت النفس لا تعتمد فى وجودها على الجسم ويمكن أن توجد من دونه، فإنها لا تنطبق عليها صفاته ذاتها، أى أنها لا تقبل القسمة مثل الجسد ولا توجد فى مكان ، وأنها خالدة ، فى حين أن الجسد فانٍ**"(١٢).

إن عيب هذه الثنائية أنها أعلت من شأن النفس الإنسانية على حساب أى شىء آخر، مما أتاح لديكارت الافتراض بأنه من الممكن للإنسان أن يُسخر كل ما هو موجود فى الطبيعة لتحقيق مصالحه الخاصة واهتماماته.(١٣) وتكلل هذا التسخير من خلال الطلب المتنامى غير العقلانى على البيئة شحيحة الموارد والتلوث الناشىء عن ارتفاع مستويات الحياة، بغرض الكفاح من أجل البقاء من خلال صور متعددة مثل: قطع أشجار الغابات، وانتهاك ماشية المراعى، واستنزاف الأراضى الضعيفة...الخ (١٤)

كل ذلك جعل الإنسان يشعر بالذعر تجاه موارده التى قد تنضب يومًا ما. مما أيقظ الوعى مناديًا بضرورة الحفاظ على موارد الطبيعة لتحقيق أقصى استفادة منها للجيل الحالى، ولأجيال المستقبل أيضا.(*)

أما ثالث هذه الأفكار التى يمكن أن نلحظها من هذه الاتجاهات؛ نجد أنها نفعية منذ البداية، فمنذ أن استشعر الإنسان الخطر، نادى بضرورة المحافظة على الموارد، ولكن كان ذلك فى ظل إطار نفعى. إذا أردنا أن ندلل على ذلك لوجدنا استغلال الغابات نموذجًا، وخاصة فى الولايات المتحدة.

فبعد أن أفرط الإنسان فى استغلال الغابات، تعالت الصيحات منادية بضرورة الحفاظ على العجائب النادرة والنفيسة منها التى قد يعبث فيها الإنسان فسادًا، وبالفعل وافق الكونجرس الأمريكى على تأسيس أول متنزه يحوى هذه العجائب وهو متنزه "يلوستونYellow stone".(١٥)بل قد تطور وعى الأفراد وأدركوا أن المحافظة على الغابات بمثابة منفعة طويلة الأمد، حيث تحافظ الغابات على وجود كميات مناسبة من المياه قد تحتاجها الأجيال مستقبلاً. وبذلك يتحقق أقصى خير لأكبر عدد ممكن.(١٦)

ولكن بالرغم من هذه المحاولات إلا أنها كانت بائسة حيث إنها مغلفة بإطار النفعية فهى تُقيد عبثية الإنسان فى البيئة فقط، ولم تتطرق إلى حقوق أجيال المستقبل، فالأصوات المنادية بالمحافظة على الموارد:" **قد ظهرت كمحاولة لتقييد التأثير البيئى المدمر للأفراد والجماعات المستغلين للطبيعة بهدف الاستفادة منها دون النظر إلى الخير الاجتماعى الأكبر أو إلى رفاهية الأجيال القادمة فى المستقبل**".(١٧)

ومن ثم يتضح أن نظرة الإنسان إلى الطبيعة نظرة نفعية فهى بمثابة "مخزون دائم لا ينتهى". يمارس عليها الإنسان سيادته، مثلما يمارسها على المخلوقات الأدنى منه فى الخلق، وبالتالى أكد أتباع مركزية الذات الإنسانية ـ التى أشرنا إليها سابقًا ـ أن الطبيعة غير الإنسانية تحوى قيمًا أداتية أو وسيلية Instrumental Value نفعية فقط.

ولكن حديثًا سرعان ما تغيرت هذه النظرة، وامتد نطاق القيم الأداتية بعيدًا عن المنفعة الإقتصاديه ليشمل عدة أشياء أخرى منها "اللذة الجمالية"، "والمعرفة العملية"، ومؤخرًا "البقاء البيولوجى".(١٨)

تلك الأشياء التى تُحتم على الإنسان مسئولية إدارتها ورعايتها من أجل خدمة الإنسانية فى النهاية، ويؤكد "جون باسمور (١٩١٤م ـ ٢٠٠٤م) Passmore,John"(*) أن الطبيعة غير الإنسانية فى حد ذاتها رؤية تغض الطرف تمامًا عن الطرف الآخر فى الثنائية وهو الطبيعة، ونحن ليس لدينا مسئولية تجاه الطبيعة، بقدر ما هى واجبات تجاه أجيال المستقبل، الأمر الذى ينطوى بدوره على تولى مسئولية الإشراف Stewardship على الطبيعة ورعايتها".ويؤكد ذلك قائلاً:"**نحن ندين لهم ـ أى أجيال المستقبل ـ بالرخاء Postperity، ليس فقط بحماية الممتلكات الطبيعية التى سيرثونها، وإنما أيضا علينا أن نترك العالم فى حالة أفضل لمن سيأتون بعدنا، إنه إلزام يفرض علينا تحويل العالم إلى حالة مدنية متحضرة**".(١٩)

وبهذا الإلزام يصبح الإنسان بذاتيته هو المتحكم والمسيطر على الطبيعة فلا يمكن فهم الطبيعة إلا من خلال الإنسان. تلك الرؤية التى انعكست على مجال القيم والأخلاق أيضا، فلقد آمن البعض من الفلاسفة على سبيل المثال لا

الحصر: "وليم جيمس (١٨٤٢م - ١٩١٠م) James, William" و "رالف بارتون بيرى (١٨٧٦م - ١٩٥٧م) Berry, Ralph Barton"[*] بذاتية القيم، أى أن الإنسان وحده مالكًا لها. فهم يؤكدون على أنه لا وجود للقيم مع غياب الذاتية. ولقد قام "بيرى" بصياغة هذا الرأى فى كتابه "النظرية العامة للقيمة General Theory of Value " قائلاً:

"**إن صمت الصحراء يظل بلا قيمة إلى أن يجده أحد العابرين موحشًا ووحيدًا، وكذلك الطوفان يظل بلا قيمة إلى أن يجده الإحساس الإنسانى شيئًا ساميًا، ولعل أى شىء ـ مهما كان ـ يكتسب القيمة عندما يظهر هناك أى اهتمام ـ مهما كان يتعلق به**".(٢٠)

أما "وليام جيمس" فيستدل على الأمر بشكل مشابه فى كتابة"تنوع التجربة الدينية Varieties of Religious Experience" قائلاً:

" **انظر لنفسك إذا حدث وأن تجردت فجأةً من كل المشاعر والانفعالات التى يوحى إليك بها العالم الآن، وحاول أن تتخيله كما هو وبشكل بحت... فلن يكون عندئذٍ لأى جزء فى الكون أهمية بعيدًا عن الأجزاء الأخرى... وأيًا كانت القيمة، أو الاهتمام، أو المعنى الذى يُمنح للعوالم الشخصية، فهى مجرد منح بحته يقدمها عقل المشاهد فقط** ".(٢١)

ومن ثم يتضح من وجهة نظر هؤلاء أن الإنسان ما زال مستمرًا فى ممارسة هيمنته وسيادته على ما يوجد فى البيئة، بما فيها مجال القيم. فهو الذى يحدد القيمة دون غيره لما هو موجود فى البيئة بغض النظر عن وجود هذا الشىء قبل ـ أى الطبيعة ـ مجيئه أم لا، أو هل هذا الشىء فى متناول خبرته الحسية أم بعيدًا عنها؟! بغض النظر عن وجود الطبيعة السابقة لوجوده.

إن التساؤلات السابقة وما تثيره من علامات التعجب، قد واجهها "رولستون" مُضمّنًا لها اعتراضه على مركزية الذات الإنسانية بسبب النظرة الضيقة للإنسان، والتى يعدها سببًا فى الأزمات البيئية الحالية، ويصف ذلك قائلاً:

" **إننا قضينا قرابة قرنٍ من الزمان نحاول فهم أنفسنا بوصفنا الكيانات الوحيدة التى تعطى القيمة للبيئة، تلك البيئة التى تعد عقيمة لولا وجود هذه القيمة ـ أى الإنسان ـ**".(٢٢)

ويؤكد "رولستون" فى الفقرة السابقة ـ ويتفق الباحث معه فى ذلك ـ الخطأ الذى وقعنا فيه أثناء تقييم الطبيعة وهو الاعتماد على الإنسان فقط دون النظر إلى الطبيعة فى حد ذاتها، ويوضح ذلك بقوله: "**يعتمد الإنسان فى وجوده على عناصر الهواء، والماء، وأشعة الشمس، والبكتريا، والفطريات...الخ، لذلك لا تزال الإيكولوجيا تؤثر فى ثقافة الإنسان، وتمثل المعطيات الطبيعية التى يكمن وراءها كل شىء**"(٢٣).

فالإنسان لا وجود له فى الطبيعة دون عناصرها المختلفة، لذلك عارض الاتجاه القوى فى الفكر والثقافة الحديثة القائم على جعل القيم متمركزة حول الإنسان فقط، حيث سيؤدى ذلك إلى قصور معرفتنا بالطبيعة. فالطبيعة دون شك أصبحت ترد على استغلالية الإنسان وتعصف بوجوده. ولنا العظة من الأحداث المأساوية التى عاشها العالم ومازال يعيشها الآن من "أحداث تسونامى والأمراض الوبائية وآخرها فيروس كورونا...الخ ".

لذلك دعى "رولستون" إلى التخلى عن تلك النظرة الضيقة التى تُفخّم من الإنسان ودوره فى ممارسة سيادته على الطبيعة، مناديًا بضرورة التعرف عليها عن قرب ، فيقول:

" **لم يعرف البشر كثيرًا عن سلسلة الوجود العظمى، وبالتالى كان تقييمهم لها ضئيلاً. ولهذا أصبحت الأزمة الإيكولوجية كبيرة؛ حيث إن التقليل من قيمة الطبيعة والتضخيم من قيمة الإنسان يشبه تداول الأعمال بعملة مزيفة. وهذا يؤدى بالطبع إلى رؤية احتكارية تسبب خللاً وظيفيًا فى العالم يؤدى إلى عدم التكيف مع الطبيعة، فقد أسأنا قراءة وفهم النظام الداعم لحياتنا وكأن المكان الذى نعيش فيه لا تتوفر له معايير تقوم عليه بنيات، وكأننا بوسعنا أن نفعل ما نريد. ثم ترسخت هذه الرؤية فى أذهاننا لتشكل الأخلاق بعد ذلك فى صمت**".(٢٤)

ويحاول "رولستون" بنقده لمركزية الذات الإنسانية إيجاد علاقة جديدة أكثر اتساقًا مع الطبيعة غير الإنسانية، من خلال تأسيس أخلاق جديده مسماه بـ "أخلاق الأرضLand Ethics". "**فالأرض مجتمع ننتمى إليه وليست مجرد موارد تخصنا...لذلك لسنا سوى أعضاء ومواطنين فى المجتمع الحيوى**".(٢٥)

ومن ثم يرى الباحث أننا أمام تغير جُشطلتى فى أفكارنا عن المنظومة البيئة، حيث هناك مُكون آخر وهو الطبيعة التى مما لا شك فيه لها قيمها وسيادتها التى قد تفوق الإنسان. وهذا ما يحيلنا إلى مناقشة الجزء الثانى من الثنائية الخاص باستقلالية الطبيعة وعدها مالكة للقيم وليس الإنسان وحده.

(ب) استقلالية الطبيعة: (الطبيعة مالكة للقيم).

فى الحقيقة تكمن استقلالية الطبيعة فى اعتماد الإنسان والكائنات الحية فى وجودهما عليها وليس العكس. بل إن وجود الطبيعة أصبح مهددًا بسبب وجوده، فكمال النظام الطبيعى لن يتأثر بشىء فى حالة العصف بالإنسان، بل على العكس سيقلل فناء الإنسان من المخاطر التى يتعرض لها هذا النظام الطبيعى.[٢٦] فمن الإنصاف إذن الإقرار بأسبقية الحياة على الأرض قبل ظهور الإنسان ومن ثم تقدير قيمتها:

" **الأرض كانت مفعمة بالحياة قبل أن نظهر بوقت طويل. وبتعبير مجازى، نحن قادمون جدد بشكل نسبى، ودخلنا إلى مسكن يقطنه آخرون من ملايين السنوات، وهذا المسكن ينبغى أن نتقاسمه جميعًا**"[٢٧]. فالأرض ومن ثم الطبيعة موجودة قبل وجود الإنسان، ويعتمد الإنسان فى وجوده عليها. وهذا ما أكده أيضًا "ميشيل سير(١٩٣٠م - ٢٠١٩م) Serres, Michel "[*] عندما قال:

" **إن كوكب الأرض يوجد من دوننا، لكننا لا يمكن أن نوجد من دونه، وبالتالى فإن النظرة التى يجب أن تسود هى أن نضع عالم الأشياء فى المركز، ونكون نحن على الهامش، أو الأفضل أن تكون كل الأشياء حولنا ونحن بداخلها مثل الكائنات الطفيلية...فكيف نَقْلب الأمور ونتسيد على سيدنا؟ إن هذا الإفراط للطفيلى ضد عائله يُعّرض كل الكائنات للخطر المميت**"[٢٨]. فمن خلال هذه الأسبقية تظهر استقلالية الطبيعة؛ فالأرض موجودة، والإنسان لا حق فى ظهوره عليها. وطالما أن الأرض سابقة فى وجودها على الإنسان بملايين

السنين، فهى تحمل نوعًا من الاستقلال ـ سنكشف عن ملامحه لاحقًا ـ فكيف نقلب الأمور عند تقييمهما لصالح الإنسان!.

ولكن حتى يستقيم ميزان تقييمنا لعلاقة الإنسان بالطبيعة، لا بد أن نشير إلى هذه المفارقة المتمثلة فى أنه بالرغم من سطوة الإنسان على الطبيعة واستغلالها، إلا أنه يحمل بداخله نوع من التقدير الفطرى لها: "**هناك حب للطبيعة داخل كل فرد منا، إنه حب الأم القديم الذى لما يزل معبرًا عن نفسه، سواء لاحظناه أم لم نلحظه** "(٢٩).

وهذا التقدير الفطرى إنما يدل على أن الإنسان دومًا ما يستمد قيمه المختلفة من الطبيعة لأنه مفطور على حبها، ولعل أبرز هذه القيم:القيمة الجمالية أو الدينية التى توضح عمق الصلة بين الطبيعة والإنسان.

أما عن القيم الجمالية؛ فكان الوعى بها تدريجيًا ولم يظهر فجأةً ، حيث بدأت بارتباط الصور الذهنية التصويرية وانفعالات الأفراد بالمناظر الطبيعية الخلابة وخصائصها المختلفة:"**لقد بدأ الأفراد ينبهرون بالاتساع والضخامة والفوضى وعدم الإتساق**"(٣٠)

ثم تطورت باستحواذها على البعض من خلال فكرة الشعور بالخشوع الدينى الناجم عن الإعجاب بهذه المناظر: "**حيث يسود شعور يجمع بين الرهبة والخوف الدينى عند استحضار قوة مهيمنة عظيمة** "(٣١). ثم بلغت ذروة تلك القيم فى الإعجاب بجمال الطبيعة إلى حد القول إنه "**لم يعد هناك شىء قبيح**"(٣٢).

أما عن القيم الدينية؛ فتظهر دلائلها فى تنبيه الطبيعة للإنسان مستخدمةً فى ذلك تأثيرها الدائم، مما يؤدى بالإنسان إلى استشعار نوعًا من الإيمان الدينى

الموجود بشكل تلقائى والذى غالبًا ما تشوهه الحضارة والمدنية : "**ففى طبيعة الإله يكمن أمل العالم ـ تلك الطبيعة الهائلة، المتجددة والتى لا يمكن تعويضها إذا فسدت من جراء التداخل المزعج للحضارة** "(٣٣). فالحضارة دائما ما تُفسد الطبيعة مستغله بذلك العلم الحديث، حيث تنحاز دائمًا إلى جانب الإنسان على حساب الطبيعة، وتسهم فى دعم أغلوطة "الإنسان الإله"، أى أن كل ما فى طبيعة مسخر لخدمة الإنسان، وهذا إن دل على شىء فيدل على أنانيته وتجاهله المخلوقات الأخرى التى تقاسمه الحياة فى الطبيعة، ويؤكد "جون ميور(١٨٣٨م ـ ١٩١٤م) Muir,John " (*)ذلك: " **مالنا من مخلوقات متعجرفة، تغفل حقوق سائر الكائنات! ونستهين بها ، إلا أنها تثور ضدنا بصورة طبيعية وهى ليست شرورًا غامضة. إنها تحيا فى سعادة فى الطبيعة المزدهرة وتشكل جانبًا من عائلة الرب، وتتلقى قدرًا من الرعاية والحب نفسه الذى يُمنح للملائكة فى الجنة وللقديسين فى الأرض** "(٣٤).

نلحظ أن "ميور" يعمل على التقليل من شأن الإنسان وتعظيم شأن الطبيعة: " **لماذا يرى الإنسان نفسه بأنه أكثر من مجرد جزء صغير من الوحدة الهائلة للخلق؟ وأن أى مخلوق سواه لا يعد أساسيًا لاكتمال هذه الوحدة العظمى، أى الكون** "(٣٥).

يتبين لنا مما سبق النظرة المفرطة لأتباع استقلالية الطبيعة ضد الإنسان ومنهم "موير"، وجعلها وحدها مالكة للقيم دون الإنسان، ولعل أبرز هذه القيم هى تعزيز سبل التعايش بين الأفراد. أى أن الطبيعة هى السبب المباشر للتعاون بين الأفراد، مما يعد سببًا كافيًا لاستقلال الطبيعة عن الإنسان.

ويتفق "رولستون" مع هذا الرأى قائلاً: "**إن الطبيعة تعنى أكثر من كونها ملاذًا حيويًا، ومعملاً لاختبار صحة الأرض، أو من مجرد مخزون من المواد الخام التى نعتمد عليها فى تعزيز سبل التعايش والتكامل بيننا**"(٣٦).

وهذا الرأى ما اشترك فيه أتباع مركزية الذات الإنسانية فضلاً عن أتباع استقلالية الطبيعة،إلا أنه بالرغم من ذلك يرى: أن هذه "**المبررات على الرغم من جديتها واتساقها مع بعضها البعض من أجل الحفاظ على الطبيعة، إلا أنها ليست أفضل الأسباب** ".(٣٧) ويتفق الباحث مع ما آل اليه "رولستون".

ويكمن عدم رضا "رولستون" عن هذه الأسباب فى أنها بمثابة دعوة إلى الخلط بين الطبيعة وثقافة الإنسان(*). أى أن الطبيعة هى التى تحدد ثقافة الإنسان، فليس ثمة فارق بينهما. هذا ما دافع عنه رولستون فى مؤلفاته: "الحفاظ على القيمة الطبيعية Conserving natural value"، "التأكيد من جديد على فكرة البرية The Wilderness Idea Reaffirmed"وذلك أثناء رده على إدعاءات "كاليكوت (١٩٤١مـ) Callicott,J.Baird"(**)الذى يزعم - أى كاليكوت - إلى وجود تشابه بين الطبيعة والإنسان: "**نحن حيوانات فى ذاتنا، حيوانات رئيسية كبرى تتغذى على كل شىء ، وإن كنت شبه متيقن أننا قرود كبيرة الحجم. ولهذا فنحن جزء من الطبيعة ولسنا منفصلين عنها...**"(٣٨).وكذلك يزعم أن التغيرات التى يتدخل بها الإنسان لتغير ما يوجد فى الطبيعة تعد طبيعية أيضا ويقول:"**أن التغيرات الاصطناعية Anthropogenic التى تُفرض على النظم الإيكولوجية هى تغيرات طبيعية مثل أى تغيرات أخرى**"(٣٩).

ويتمثل رد "رولستون" عن ذلك **(أولا)**: فى أن تلك التصورات قد فشلت فى إدراك الهيمنة الإنسانية واختلاف ثقافة الإنسان عن الطبيعة، ولعل أفضل سمة تدل على هيمنة الإنسان هى الاهتمام بالآخرين سواء أكانوا من نوعه أم من الأنواع الأخرى ويقول فى هذا الصدد:

"**فيمكن للبشر الاهتمام بما هو خارج نطاق ذواتهم، ومصالحهم الذاتية، أى يمكن الاهتمام بأنواع أخرى غير بشرية...فلدى البشر الوعى الكافى للقيام بذلك. وهذا ليس انقسامًا ميتافيزيقيًا مشوشًا، بقدر ما هى حقيقة الأكسيولوجيا**"(٤٠).

(ثانيًا) : إن الخلط فى الثنائية السابقة يعنى "أنسنة الطبيعة" أى جعلها ذات طابع إنسانى دون الاعتراف باستقلاليتها. وهذا معناه أن كل ما يوجد فى الطبيعة من موضوعات موضوعية قد يكون عُرضة للتبدل وللتغير تبعًا للأهواء الذاتية ـ وما ظنك بمجال القيم والأخلاق أيضا **!!!**

إذن رفض "رولستون" الخلط بينهما. ولا يعنى ذلك أنه بات مؤيدًا لمركزية الذات الإنسانية، أو أن رأيه عن استقلالية الطبيعة غير واضح . فى حقيقة الأمر إن "رولستون" صاحب نظرة شاملة يجمع فيها بين الرؤيتين؛ أى يصر على وجود قيم جوهرية للطبيعة مستقلة عن الإنسان، فضلاً عن وجود نوع من الوعى الإنسانى يؤدى إلى التفرد والهيمنة باهتمامه بالآخرين بعيدًا عن ذاتيته:

"**يصر أتباع الطبيعة على وجود قيم جوهرية لها مثل الحفاظ على الحياة ـ وهى ليست بقيم إنسانية ـ وهذه القيم ينبغى المحافظة عليها لما تقدمه للإنسانية، ولأنها قيمة فى حد ذاتها. ونظرًا لأن الوجود الإنسانى**

مختلف بشكل جذرى، إلا أنه ينبغى على الإنسان التراجع ومنح الفرصة للطبيعة كى توجد. إن البشر ينبغى عليهم أن ينظروا خارج نطاقهم، وأن يتراجعوا عن الاهتمام بذاتيتهم، والتأكيد على القيم التى لا تخص ثقافتهم. فالبشر هم من لديهم الوعى الكافى لفعل ذلك"(٤١).

وبصفة عامة تكمن أهمية الإقرار باستقلالية الطبيعة، فى إدراك القيم المختلفة للطبيعة، والكشف عن أن الطبيعة مالكة للقيم وليس الإنسان وحده مالكًا لها. ولعل التجربة الجمالية دليل على ذلك، فيرى "رولستون":

" **أن التجربة الجمالية عادة ما تظهر لدى الفرد الملاحظ أو المشاهد،فى صور مختلفة مثل:البنيوية والتكامل والترتيب والكفاءة والقوة العضلية والحركة الديناميكية والتماثل والتنوع والوحدة والتلقائية... بالإضافة إلى أنواع جديدة متطورة... ولكن هذه الصور توجد قبل مجىء الإنسان، إنها ثمرات الطبيعة التى عندما نُقيمها بشكل جمالى، فإن تجربتنا تصبح مبنية على سمات طبيعية**".(٤٢)

***إذن يرى الباحث أن الطبيعة وجدت بأكملها قبل ظهور الإنسان، وليس الإنسان إلا عنصرًا من ضمن عناصرها المختلفة يتميز بقدرته الواعية التى تجعله مختلفًا عن الآخرين. لذا للإجابة عن التساؤل المطروح فى مطلع نقاشنا لهذه الثنائية: هل ينبغى تبنى رؤية تتمحور حول الإنسان، أم رؤية أخرى بمنأوى عنه؟. وجدنا أن لكلٍ من طرفى الثنائية على حده إشكالياته والتى نرى حلها فى ضرورة عدم تجاهل الطرف الآخر.أما عن "رولستون" وهو ما نتفق معه فليس مؤيدًا لمركزية الذات الإنسانية،وفى الوقت ذاته ليس مؤيدًا لاستقلالية الطبيعة. وإنما هو صاحب نظرة شمولية تجمع بين طرفى الثنائية. لكن ما طبيعة

هذه النظرة الشاملة وكيف استطاع "رولستون" التوفيق بين هذين الطرفين؟ ،وما طبيعة القيم الناشئة عنهما؟. هذا ما نحاول الإجابة عنه فيما يلى :

(ثانياً): رؤية "رولستون" الشاملة للقيم الإيكولوجية .

تعد الرؤية الشاملة لـ"رولستون" المتعلقة بالبيئة هى جوهر فلسفته، حيث تتمحور تلك الرؤية حول تقييم الطبيعة بكافة محتوياتها من أنواعٍ وأجناسٍ وأفرادٍ . فلا تختص تلك الرؤية بنوع بعينه أو جنس أو فرد، كما لا تتجاهل فى الوقت نفسه التطور الطبيعى لأطوار النظم البيئية المختلفة منذ نشأتها وصولاً لما هى عليه الآن. فضلاً عن التمييز بين إملاءات الطبيعة على الإنسان، أى تأثر الإنسان بالطبيعة، وكذلك ثقافته النابعة من خلال وعيه، أى الإعلاء فى الوقت نفسه من الإنسان لوعيه وتفرده عن الآخرين .

ودليلنا فى ذلك رؤية "رولستون" التى تدور حول أن للعالم الطبيعى فقط قيمة بعيدة ومستقلة عن الوعى الإنسانى، ولكن عندما يكتشفها الإنسان تنشأ عندئذ قيم جديدة يصحبها التزامات جديدة أيضا تُفرض على الإنسان.

"**فالبشر لا يكتشفون قيمًا جديدة فى العالم... ـ لأنها فى حد ذاتها موجودة بالفعل فى العالم ـ فهم فى دفاعٍ مستمر عن القيم البيولوجية** "(٤٣).

من هنا تكمن أهمية "رولستون"؛ فبينما كانت تدور كل نقاشات الفلاسفة السابقين المهتمين بالقيم ـ من أمثال"وليم جيمس" و"وبيرى" وكذلك الطبيعيين ـ حول أن الإنسان وحده مالكًا للقيمة دون سواه، وهذا ما ظهر فى كتابات "رولستون عنهم إذ يدعون:"**أن الطبيعة غير الإنسانية تخلو من القيمة، وما هى إلا عندهم مصدرًا لإشباع الرغبات الإنسانية بتحريض من مهارات العلم.**

فالقيمة تكمن بشكل كامل فى عين الملاحظ أو المشاهد وتتحدد وفقًا لتفضيلات من يُقّيم فقط"[٤٤]، كان "رولستون" ينتهج رأيًا مغايرًا وهو "الشمولية" الجامعة بين موضوعية القيمة وذاتيتها فى آنٍ واحدٍ.

وبتلك تتمثل أولى ميزات فكره الشمولى؛ فى أن الحياة الموضوعية أساس للحياة الذاتية، وبالتالى فهى تعد جزءًا لا غنى عنه فى عملية "إنتاج حياة جديدة Life-Generating" أى اكتشاف ما بها من حيوات أخرى، ومن ثم يصبح للحياة قيمة وثقلاً. ويقدم "رولستون" فى مؤلفه "الحفاظ على القيمة الطبيعية" وصفًا دقيقًا لهذه العملية وهو:" **إن الحدث المولد للقيمة يشبه الضوء الموجود فى الثلاجة، لا يعمل إلا عند فتح الباب** ". وبهذا يتضح أن القيم توجد هناك فى الطبيعة طوال الوقت، بغض النظر عما إذا تم تسليط الضوء عليها أم لا [٤٥] ، كذلك بغض النظر عن وجود الإنسان أم عدم وجوده.

ويتشابه "رولستون" فى فكرة أن الموضوعية أساس الذاتية مع "روتلى سيلفان(١٩٣٥م - ١٩٩٦م) "Routley, Sylvan [*]والذى طلب من قرائه استحضار تجربة ذهنية بوضع خطة معينة من أجل تدمير بستان من الأشجار. وطلب من قرائه التوقف لبُرهة والتفكير عما إذا كان سيتم ارتكاب هذا الجرم تجاه البستان، أو تجاه ما يوجد فى الطبيعة من أشياء أخرى، إذا لم يوجد بشر.[٤٦] بالطبع لا!!!.

إن ما يقصده "سيلفان" من تجربته ما قد يحدث للطبيعة وقيمها مرتبط بوجود الإنسان من الأساس، فهل ستكون هناك قيم مستقلة فى الطبيعية؟. القضية هنا أشبه بالصراع حول من الفائز؟ ومن الخاسر؟ . هل تفوز الذاتية أم الموضوعية أم العكس؟.

فتبعًا لـ "رولستون" ورؤيته الشاملة فإن للطبيعة قيمة مستقلة بعيدًا عن البشر، ولذلك ليس من الصحيح القول إن البشر هم من يضفون القيمة على الطبيعة. كما لا يصح الإدعاء فى الوقت نفسه بأن الطبيعة ليس لها قيمة موضوعية فى غياب البشر أى غياب العنصر الذاتى، بل إن البشر يشاركون فى عملية طبيعية مستمرة وهى تقديم قيم موضوعية أداتية وجوهرية أيضا. وهذا هو جوهر الرؤية الشاملة لـ "رولستون"، حيث يسعى إلى عقد التوازن بين الطبيعة والإنسان وليس الانحياز إلى أى منهما. فدائمًا ما تحاول الأخلاق البيئية الوصول إلى ملائمة مُرضية وقائمة على الأرض بالنسبة للإنسان وثقافته أيضا، ويؤكد ذلك قائلاً: "**عندما يبنى البشر ثقافتهم، فإنهم مستمرون فى الإقامة فى الطبيعة**".(٤٧)

كما يعد أيضا من مميزات فكرة الشمولية عند "رولستون" أنها نوع من أخلاق الأرض التى تعكس وجود ضمير إيكولوجى. بمعنى أنها تحدد مسئولية الكل عن عافية الأرض وما قد يحدث لها. والمقصود بالعافية قدرة الأرض على التجديد الذاتى دون تدخل من أحد. وأن الحفاظ عليها هو السعى فى سبيل فهم وصون هذه القدرة، ولن يتم ذلك إلا من خلال الكليات وليست الكيانات الفردية فقط. فتقتضى أخلاق الأرض الاحترام ... من قِبل الأعضاء الزملاء، وكذلك أيضا المجتمع فى حد ذاته. (٤٨)

فالمجتمعات بأسرها من منظور أخلاق الأرض تهتم بالحفاظ على الأرض وليست الكيانات الفردية. وهذا ما انعكس على "رولستون" فى بناء نظرته الشاملة، حيث تأتى الواجبات الخاصة بالنظام البيئى ككل قبل الواجبات الخاصة بالأفراد.لأن الأفراد جزء من هذا النظام برمته، فإذا صلح الكل، فسينعكس ذلك

على الجزء. كما تتمثل قيمة هذا النظام فى إنتاج القيمة الجوهرية الخاصة بالأفراد[٤٩]ـ وهذا ما سنحاول إيضاحه لاحقًا ـ"**فالنظام البيئى إذن يُنشىء مزيدًا من الأنواع**(*)".[٥٠]وليس الأفراد.

ولهذا فهو يعد مصدرًا للقيم المتعددة، كما أن هناك التزامات ينبغى أن يؤديها البشر تجاه النظام تعمل على حماية هذه المكونات واصلاحها داخل المجتمع الإحيائى. وهذا ما سنوضحه.

يتبين لنا إذن من خلال هذا العرض السريع للنظرة الشاملة لـ"رولستون" أننا أمام نظرة تدعو إلى استقلالية قيم الطبيعة. وفى الوقت نفسه تحافظ على وجود نوع من الوعى الإيكولوجى لدى الإنسان يكشف عنها من خلال تقدير قيمتها.

لكننا نتساءل كيف استطاع "رولستون" إثبات استقلالية قيم الطبيعة؟، ما القيم التى قد توجد فى الطبيعة مستقلة عن الإنسان؟،وما دور الإنسان وأهميته عند "رولستون"؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات سنتناول الطبيعة (بوصفها مالكة للقيم) أولاً، والإنسان بوصفه ذاتًا واعيةً إيكولوجية مميزة ثانيًا.

(أ)رؤية "رولستون" الشاملة للطبيعة (بوصفها مالكة للقيم):

يصف"رولستون"الطبيعة من منظوره الكلى بأنها:"**ليست مجردة من القيمة، وإنما مالكة لها؛ أى مالكة لقيمة تُحد من الدور الذى يفترض أن نقوم به نحن البشر، وتٌعظم من شأننا فى الوقت نفسه**"[٥١]. وهذا إن دلّ على شىء فأنما يدل على أن للطبيعة قيمة جوهرية مستقلة عن الإنسان، مثلها مثل الكائنات الحية من أفراد وجماعات... الخ، فلديهم قيم جوهرية يدافعون عنها ولا يتخلون

عنها أبدًا مثل:غريزة البقاء. فضلاً عن وجود قيم أداتية تُستخدم كوسيلة لغايةٍ ما، مثل غاية التغذى والاستفادة من كل نوع آخر:

"...**تُقيّم الكائنات الحية موارد الطبيعة بشكل أداتى، بينما يقيمون شيئًا آخر بشكل جوهرى: فذاتهم وصور حياتهم يتم الدفاع عنها بصفة أساسية دون الحاجة إلى شىء آخر...**"(٥٢)

وما يقصده "رولستون" بالفقرة السابقة أن القيم الجوهرية لا تعتمد على أى شىء آخر، وإنما هى ذات قيمة فى حد ذاتها، وهذا ما يتضح من مفهوم "البقاء" مثلاً. لكن كيف استطاع "رولستون" إثبات أن للطبيعة قيمه جوهرية فى حد ذاتها؟، أى أنه يجعل القيمة متصلة بالطبيعة**Naturalizing Value** "(٥٣).

ولإثبات ذلك اعتمد على العلوم الطبيعية خصوصًا علم البيولوجيا ليُظهر أن القيمة توجد بشكل مستقل عن القائمين بالتقييم أى البشر. ولقد بدأ مهمته هذه بتقديم أمثلة بيولوجية عن القيمة.

أول مثال عن ذلك كان عن"أزمة النباتات": حيث يحتاج النبات إلى عملية"التمثيل الضوئى Photosynthetic"التى تحتاج إلى وجود"ثانى أكسيد الكربون" الموجود فى الهواء، وكذلك الحصول على الطاقة من الشمس، فضلاً عن احتياج النبات إلى استهلاك الماء. ولكن عند تعرضه للهواء الجوى فإنه يؤدى ـ نظريًا ـ إلى فقدان جزء من الماء عن طريق "التبخر"مما قد يؤدى إلى هلاكه. ولكن تم حل هذه المشكلة عن طريق المسام الموجودة أسفل أوراق النباتات التى يمكنها أن تفتح وتغلق المسام أمام دخول الهواء، فضلا عن عملية تبدل لأوراقه بحيث تتعرض بشكل مناسب للهواء الجوى مما يحميه. (٥٤)

يوضح هذا المثال أن هذه الاستراتيجيات النباتية معقدة للغاية، وتستلزم التكامل بين عديد من المتغيرات مثل درجة الحرارة، وضوء الشمس وحاجة النبات للطاقة...الخ. هل يتدخل هنا الإنسان فى إضفاء قيمة للنبات؟ بالضرورة (لا).إذن للنبات وهو عنصر طبيعى بعيدًا عن الإنسان قيمة مستقلة وجوهرية مما يعد دليلاً على وجود شىء غير الإنسان مالكًا للقيم.

مثال آخر من خلال "الجينات" أو "الجينوم" "DNA" الموجودة فى الفقاريات ذات القدرات الخاصة فى مقاومة الأمراض. فيكافح جسم الإنسان الأمراض من خلال نوعين من المناعة: المناعة الفطرية والمناعة المكتسبة. أما بالنسبة للنوع الأول، أى المناعة الفطرية فقد تم تشفيرها داخل الجينات منذ وجود الفرد، وتستطيع مقاومة بعض الأمراض بطريقة فطرية وتلقائية. أما المناعة المكتسبة فهى قائمة على تذكر الأحداث أو الأمراض الماضية التى أصيب بها الفرد من خلال تطور الكائن الحى وتكوين أجسام مضادة ضد المرض إذا ما حاول مهاجمة الجسم مرةً أخرى . وبذلك يمكننا القول إن هناك نوعًا من التعلم المكتسب فى المناعة رغم كون هذا النظام ميكانيكيًا.(٥٥)

فالنظام المناعى يقوم بمهمة معقدة جدًا، وهى تنظيم العمل بين مجموعة من الخلايا المختلفة بشكل بنيوى لتصبح فى وحدة واحدة، بحيث يتعين لهذا النظام التعرف على الخلايا المهاجمة والخلايا غير الطبيعية، وإزالتها، والتخلص منها، كل هذا يحدث على مستويات متناهية الصغر. ولعل هذه العمليات تشكل: " **صورة منظمة بطريقة بالغة التعقيد ... ونظامًا سببيًا، ولكن الأمر أكثر من ذلك، فهذا النظام يحمى الذات الحية أو ذات الكائن الحى** ". (٥٦) كل ذلك يحدث بطريقة تلقائية دون تدخل من الإنسان ولا يُشترط أى وعى منه حتى

يحدث ذلك. وبذلك تعد تلك المنظومة الجينية والمناعية، منظومة ذات قيمة سواء وُجد الإنسان أم لم يوجد.

لذلك يطلق "رولستون" العنان للبحث عن القيمة بعيدًا عن الذات الإنسانية مُلمّحًا إلى الطبيعة ويقول: "...**لقد سمحنا لأنفسنا أن نُسجن داخل خبراتنا المحسوسة، مما جعلنا كفلاسفة غير قادرين على تتبع واكتشاف أى شىء سوى عند القائمين بالتقييم حيث يعتمد على الخبرة وكذلك القيم المحسوسة**".(٥٧) ولإثبات عدم جدوى الاعتماد على الذات، يتخذ "رولستون" من إحدى الشجيرات مثالاً، حيث يرى أن ما يهم الشجرة من طاقة وتمثيل ضوئى وغذاء...الخ يهمها وحدها فى حد ذاتها بعيدًا عن وجود ملاحظ. بمعنى أن الشجرة لا يمكن أن تبقى دون قدرتها على الحصول على المواد الغذائية من أجل نموها، لذلك يقول:"**أليس من الأفضل للشجرة (سواء كانت سليمة أو مصابة) أن تكون مستقلة عن الملاحظ ؟!** ". (٥٨)

فإذا أصيبت الشجرة نتيجة قيام أحد الغزلان بفرك قرونه بها، فليس أمامها إلا أن تفرز مادة "التنينTannin" للقضاء على البكتريا، فهل تحمل الشجرة معنى القيمة؟ ولعل هذا يعد من أهم سماتها وهى قدرتها على إصلاح ذاتها عند الإصابة دون الإنسان، وهذه الملاحظات تعد ذات قيمة فى الطبيعة. فهناك قيمة لدى الشجرة يقينًا مثلما أن هناك حقيقة بيولوجية تشير إلى قدرة الشجرة على إصلاح ذاتها. ويقول "رولستون"إن هذا النوع من الأمثلة دائمًا ما يوضح"**الحقائق المتعلقة بوجود القيمة فى الطبيعة**"(٥٩).

وبينما توجد هذه القيم فى الطبيعة دون الحاجة لوجودنا من أجل تقييمها، فلابد أنها توجد بشكل موضوعى. وبينما أيضا تعد هذه القيم السابقة جوهرية

بالنسبة للنبات أو الأفراد ... أيضا، فإنها تعد مثالاً على القيم الجوهرية الموضوعية، ويبين "رولستون" ذلك قائلاً:"**يشير هذا التقارب المتشابك إلى أن القيم ليست فقط فى العقل، ولكنها متاحة أمامنا فى العالم. فنحن نبدأ بتقييم الطبيعة تمامًا مثل من يُقّيمون الأرض فى محاولة منهم للتعرف على قيمتها بالنسبة لنا، وذلك لاكتشاف أننا جزء لا يتجزأ من الطبيعة التى نقيمها. والجدير بالذكر أن هذا العنصر المشترك هو الذى قام بإعلاء شأن ذلك القائم بالتقييم وتقديره، وبالتالى بلا فضل لنا على الطبيعة، وإنما هى التى تعطينا القيمة**[٦٠].

إذن من الإنصاف الاعتراف بحضور الطبيعة ومدى استقلاليتها قبل مجىء الإنسان، وستظل أيضا كذلك بعد رحيله، فهى أساس كل وجود بل مالكة للقيم. فالقيمة طبقًا لذلك: "**ظاهرة موجودة** [٦١]... **أو سمة محايثة**[٦٢]... **فكل شىء ـ بما فيه الطبيعة ـ يحمل قيمة جوهرية فى حد ذاته**"[٦٣] .

لكن بالرغم من أهمية رأى "رولستون" فى إثبات مدى استقلالية الطبيعة وقيمها عن الإنسان،إلا أننا توصلنا إلى عدة ملاحظات: **أولى** هذه الملاحظات التى تؤخذ عليه فى ذلك ارتكابه للمغالطة الطبيعية والمتعلقة بإيجاد وقائع بيولوجية ثم استنتاج القيمة منها، ومن ثم يتم الخلط بين الواقع والقيمة ولا يجد غضاضة من ذلك بل يجاهر به معلنًا:

" **من خلال انتقالنا من وصف الحيوانات، والنباتات... مرورًا بما هو معقد وغزير... وصولاً إلى الوحدة والاتساق مع النقائض... ثم الوصول إلى الجمال والخير. يصبح من الصعب القول؛ متى انتهت الوقائع الطبيعية؟ ومتى ظهرت القيم الطبيعية؟ وبالنسبة لبعض الملاحظين، فإن الانقسام الحاد بين ما**

هو كائن/ وما ينبغى أن يكون يتلاشى، فالقيم تبدو هناك بمجرد أن تتوافر الوقائع بشكل كامل وكلاهما ـ أى القيم والقائع ـ يعد من خصائص نظام الطبيعة "[٦٤].

يدافع "رولستون" عن حجته هذه من خلال تبريره للسبب الذى يجعلنا غير قادرين على قبول قضية وجود القيم فى الطبيعة بما يسميه "رولستون" بالتمييز"**العنصرى للقيمة**"[٦٥]وما يعنيه بذلك هو تحيز فئة من الفلاسفة مثل الطبيعيين نحو إضفاء سمة الطبيعة على الفلسفة، لكنهم فى الوقت نفسه يحاولون الفصل بين الطبيعة والإنسان: "يرى الطبيعيون أننا نحن البشر لا نختلف ميتافيزيقيًا عن سائر الطبيعة ـ من حيث امتلاك القيم ـ سواء من حيث الجوهر أو المنهج. فالأنشطة البشرية والأنشطة الموجودة فى الطبيعة كلاهما أنشطة طبيعية بشكل متساوى... نحن جزءُ من الطبيعة ولسنا منفصلين عنها... وبغض النظر عن ذلك فإنهم يتمسكون بعنصرية القيمة من خلال الاعتقاد بأن البشر لهم قدرة فريدة على التقييم بخلاف الطبيعة"[٦٦].

أما عن ثانى الملاحظات فهى بخصوص طبيعة القيمة: هل هى ذاتية أم موضوعية أم غير ذلك؟ ويأتى هذا التساؤل متسقًا مع الملاحظة السابقة واثبات مدى استقلالية الطبيعة، فإذا كان اتجاهنا مع استقلالية الطبيعة وبُعدها عن الإنسان، أصبحت القيم موضوعية[*]،لأنها كما ترى الباحثة"Katie McShane" من جامعة كولورادو تحقق جانبًا من غاياتها فى انتاج كيانات أخرى فى الطبيعة[٦٧]. وليس فى هذا ميزة، حيث إن عيب الموضوعية أننا ينبغي أن نخضع لها بالضرورة. لأن لها قوة عارمة تدفع خياراتنا جانبًا، وتتغلب علي

إرادتنا. وهذا يعني أننا لا نبذل أى جهد لإبداع أى عمل ـ علي سبيل المثال ـ عمل فني أو قصيدة شعرية أو رسم أي لوحة فنية أو كتابة قصة ما.[٦٨] فالموضوعية بذلك تلغي دور الذات في تقييم أي عمل من الأعمال. وإذا اعتبرنا القيم موضوعية دون أن نضع في الاعتبار أي عنصر يفوق الموضوع نفسه، فإن معيار السلوك سيكون مجردًا من الشخصية.[٦٩] أما إذا رأينا ذاتية القيم، فهذا معناه أن أحكام القيمة ستختلف تبعا لرغبات الأفراد، وليس فى هذا ميزة أيضا[٧٠].

لكن "رولستون" بالرغم من محاولة إثبات استقلالية الطبيعة، فقد أقر بالاثنين، أى بالموضوعية والذاتية، وانتهى إلى أن كل موجودات العالم سواء.ويؤكد ذلك قائلاً :

"**تخيل نفسك مجردًا فجأة من جميع مشاعرك تجاه عالمك، وحاول تخيلها كما هى دون تأثير ... ستلحظ بالضرورة أنه ليس هناك أى جزء فى العالم أكثر أهمية من الأخر**". [٧١]

كذلك الموضوعية والذاتية؛ فعندما نظر إلى الحقائق العلمية كمعرفة موضوعية عن العالم الطبيعى، رأى أن هذه الحقائق بالرغم من موضوعياتها، إلا أنها تعتمد على معارفنا عن العالم، وبالتالى تعد ذاتية. فهو يشير أنه بينما تعد الحقائق العلمية موضوعية بناء على سماتها الحسية الملموسة والقابلة للقياس،إلا أن عبارات القيمة كأحكام تعد ذاتية:"... **نحن البشر الذين نقوم بإصدار هذه الأحكام ـ أى فى صورة عبارات ـ**" [٧٢]

يرى الباحث أن "رولستون" من الممكن أن يتفق مع تقسيم "جون لوك(١٦٣٢م - ١٧٠٤م) Locke,J" للصفات الرئيسة والثانوية فى إدراكنا للطبيعة، فالسمة الرئيسة هى الأبسط والأكثر واقعية من الطبيعة، فإذا استبعدنا ذاتية الملاحظ، فلن يتبق لنا إلا المادة فى حالة حركة، ويتم تحليلها عن طريق الرياضيات(٧٣). لكن السمة الثانوية هذه يتوقف إدراكها على الملاحظ، وتنتج عن الحركات الرئيسة للمادة.(٧٤) لذا يجمع "رولستون" بين الطبيعتين ولا ينحاز لأى منهما، وهذا هو جوهر الرؤية الشاملة عنده.ويتفق فى ذلك أيضا مع "صموئيل ألكسندر(١٨٥٩م - ١٩٣٨م) Samuel Alexander "والذى كتب في كتابه "المكان والزمان والألوهية Space, Time and Deity"إن كل قيمة يوجد فيها جانبان: الذات التي تَقوم بعملية التقويم، وموضوع القيمة Object of Value، والقيمة الكامنة في العلاقة بينهما. والموضوع يحصل علي القيمة بواسطة الذات. والذات تحصل علي القيمة بواسطة الموضوع. والارتباط بين الذات والشئ الذي يُقّوم يعد واقعًا حيًا يتضمنه ارتباط القيمة بالعناصر الأخري. والقيمة كخاصية تتعلق بهذا المركب. (٧٥)

على أى حال تؤكد الملاحظة الثانية معالم الرؤية الشاملة لـ "رولستون" التى تجمع بين الطبيعة المالكة للقيمة من جانب، والإنسان وثقافته من جانب آخر. لكن قبل التطرق إلى الشق الآخر من الرؤية الشاملة وهو الإنسان، سنعرض لأنواع القيم التى تحملها الطبيعة وفى الوقت نفسه تساعد الإنسان . أى أنه من منظور الطبيعة تعد قيمًا جوهرية لها ومن منظور الإنسان تعد قيمًا أداتية له.

(ب) أنواع القيم التى تحملها الطبيعة.

لقد قدم "رولستون" فصلاً كاملاً فى كتابه "الأخلاق البيئية" يدور حول العديد من القيم التى تملكها الطبيعة فى حد ذاتها بشكل جوهرى، وفى الوقت نفسه تؤثر فى الإنسان بشكل أداتى، مما يدل من جانب على أسبقيتها على وجود الإنسان، ومن جانب آخر الكشف عن مدى استقلالية الطبيعة عنه. وتتمثل هذه القيم فى الآتى: قيمة دعم الحياة والقيمة الاقتصادية والقيمة التجديدية والقيمة العلمية والقيمة الجمالية وقيمة التنوع الجينى والقيمة التاريخية وقيمة استخدام الرموز الثقافية وقيمة بناء الشخصية،... الخ.

- **قيمة "دعم الحياةLife- Support Value"**:ي ُظهر"رولستون" من خلالها أثر الطبيعة ودعمها للإنسان، وكيف تستطيع التحكم فيه والتغلب عليه دون أن يحدث العكس، فهو لا يستطيع العيش ولو لحظةٍ دون دعم الطبيعة لحياته أو حتى الاستغناء عن أى مكون من مكوناتها ويؤكد ذلك قائلاً:

" **لقد أوضحت الأيكولوجية بقاء الثقافة ـ أى ثقافة الإنسان ـ مقيدةً بالنظام الحيوى Boiosystem الموجود فى البيئة، ومهما بلغت الثقافة الإنسانية، فإنها مقيدة بالطبيعة. فدائمًا ما يعتمد البشر على تدفق الهواء ، والمياه، وأشعة الشمس، والتمثيل الضوئى ... الخ** ".(٧٦)

ويُظهر النص السابق ما يعتمد عليه الإنسان من قيم داعمة لحياته مثل: الهواء والماء...الخ، وهى موجودة قبل وجوده ومستمرة فى ذلك بغض النظر عن وجود الإنسان اللاحق عليها:

" **فالقيم الإيكولوجية تساهم بشكل إيجابى فى التجارب البشرية، بغض النظر عن وجود الإنسان. فالطبيعة نظام بيئى متطور، وتم ظهور الإنسان فى وقت لاحق، فكانت الموارد المركزية الحيوية موجودة على الأرض قبل وصول الإنسان. الطبيعة إذن مالكة لقيمة موضوعية للإنسان يستفيد منها باستمرار... مما جعل الأرض مكانًا سعيدًاHappy Place**".(٧٧)

وهذا يدل على أن الأرض مالكة للقيم الخاصة بتوفير الدعم لحياة الإنسان قبل مجيئه، وأنها لما تزل تفعل ذلك.

- "**القيمة الاقتصادية Economic Value**": وتتمثل فى موارد الطبيعة التى لا يساورنا الشك فى وجودها، فهى موجودة أيضا قبل وصول الإنسان. لكن المهارة الإنسانية وقدراته قد استطاعت أن تستثمر هذه الموارد وتطوعها لخدمته:

" **فالبشر دائمًا ما يستطيعون إيجاد طرق لإعادة تشكيل الطبيعة، وإيجاد موارد بديلة، واستغلال الخصائص الجديدة** ".(٧٨)

ولكن ليس فى تلك المهارة الإنسانية أية ميزة، فنتيجة لهذا الاستغلال المتزايد من قِبل الإنسان ظهرت مشكلات البيئة المختلفة: مشكلة النمو الانفجارى فى عدد السكان ... ومشكلة التلوث التى تُعرض الأنظمة البيئية لمواد وطاقة منها ما يفوق قدرة دورتها الطبيعية على استيعابه. (٧٩)

لذا ينبغى أن يكون هناك حدود لهذا النمو الاقتصادى، وذلك لأن الطبيعة بمواردها ميدان محدود، كما أن الإنسانية قد استغلت بالفعل ما يكفى من الطبيعة إلى مداها بنسب مخيفة.

" **فيسيطر البشر على نحو ٤٠%من صافى إنتاجية الأرض الموجودة على كوكب الأرض،مما يهدد النمو الأساسى للنباتات، المسئولة عن الطاقة التى يعتمد عليها كل شىء، وإذا تضاعف عدد السكان مرةً أخرى، فإن النسبة قد تصل إلى٦٠ %و ٨٠ %، ولن يبق إلا القليل من الموارد لصور الحياة الطبيعية التى لم يعد فى وسعها التكيف، بعد أن وضعنا البشرية فى المرتبة الأولى** ".(٨٠)

ولحل هذه الأزمات تعالت بعض الصيحات التى يمكن وصفها بالفاشية مقدمةً الحلول بالتعامل مع هذه الزيادة مثلما يتم التعامل عندما تنفجر أعداد عشيرة الأيّل الأبيض أو أى نوع حى آخر حيث تهدد استقرار المجتمع الحيوى وتكامله وجماله. فنحن فورًا وبلا إبطاء نخفض أعدادهم، بأى وسيلة ضرورية، وعادة بالقتل العشوائى دون تمييز لأعضاء تلك العشائر.(٨١) وهذا الحل لم يُرض "رولستون"، بل انحاز إلى ضرورة الحفاظ على الموارد ضد أفكار الحد من الزيادة السكانية، وتفكيك الاقتصاد...الخ، تلك الأفكار التى تهدم ثقافة الإنسان المتعددة:"**فالثقافة هى التى تميز الإنسان،كما أن الثقافة الزراعية والتكنولوجية لن تكون ممكنة ما لم يتم فرضها على الطبيعة بغرض الحصول على القيم الطبيعية وتطبيق الفاعلية الثقافية**".(٨٢)وهذا يعد دليلاً على وجود القيم فى الطبيعة، وأن الطبيعة مالكة لها.

- "**القيمة التجديدية Recreational Value**": والمقصود بهذه القيمة هو الاستمتاع بالطبيعة بعيدًا عن أى ملمح يصبو إلى استغلال مصادرها ومواردها المختلفة، بغرض الترويح عن النفس ويقول عن ذلك:"**فقد يبدو من العبث الانتقال من العمل إلى اللعب بغرض الترويح عن النفس. لكن السؤال الأهم؛ لماذا يلجأ البشر إلى الطبيعة من أجل الاستمتاع والترفيه بعيدًا عن الاقتصاد أو دعم الحياة؟، فهم ينتقلون من استغلال الطبيعة إلى تقديرها جماليًا** ".(٨٣)

ولعل أبرز اهتمام بهذه القيمة يمكن التماسه عن قرب عند الشخص الرياضى الذى يَعدُ الطبيعة بمثابة ساحة رياضية لممارسة المهارات البشرية الرياضية، كما تُعد مكانًا لاكتشاف الخواص الطبيعية:

"**فيحب الأفراد التريض فى الأماكن المفتوحة لأنهم محاطون بشىء أكبر مما يجده فى الأماكن المغلقة، ويتصلون بشىء ما مفقود...إن أوجه المتعة التى يجدونها مُرضية، وترويحية وتجديدية تجاه الشخصيات الطبيعية الموضوعية، وعندما يستمتع الأشخاص بمشاهدة الحياة البرية والمسطحات، يكون التركيز الأكبر على الطبيعة كمدينة عجائب مليئة بالأحداث**".(٨٤)مما يكشف أن الطبيعة مالكة للقيمة.

- "**القيمة العلمية Scientific Value**": تتسم الطبيعة بالقيمة العلمية، فنحن دائمًا ما نسعى للكشف عن جانب من الطبيعة غير معروف لدينا. فالعلوم الطبيعية هى أحدث ما لدينا ونحن نستقى معارفنا منها:"**وليس معنى تعظيم العلم وإثبات قيمته أن نُهون من شأن الطبيعة.لكن بدلاً من ذلك يجب أن**

نتعلم شيئًا من التعقيدات التى توجد فى الطبيعة،لأنها موضوع للدراسة ينبغى تفسيره".(٨٥)

ويعد مفهوم "رولستون" السابق عن "القيمة العلمية" دليلاً على أن الطبيعة هى أساس العلوم وتسبق التقييم الإنسانى لها عادةً: "**فتعد الطبيعة غنية من خلال أنها نسق تَنمويُ متطور، فالبعض يقول إننا نفهم الأشياء أولاً ثم نلحقها بالتقييم ثانيًا**"،(٨٦)كما يستطيع العلم الكشف عن قصة الأرض منذ نشأتها إلى ما هى عليه الآن:" **فالعلم يروى لنا قصة الطبيعة، كيف تسير الأمور؟، وكيف كانت؟، وما المتوقع منها** "(٨٧). وبذلك تعد الطبيعة مالكة للقيم قبل مجيىء الإنسان أيضا.

- "**القيمة الجماليةAesthetic Value":** تظهر القيمة الجمالية فى الطبيعة فى إحساس الفرد بالنعمة والفضل، ويدلل "رولستون" عن ذلك قائلاً:"**إن السبب فى إحساسنا بقيمة المنظر الطبيعى لقوس حديقة كانون لاندر الوطنيةCanyonlands هو السبب نفسه فى إحساسنا بقيمة تمثال النصر المجنح فى سامو تراس Samothrace.** (*) **والسبب هو الإحساس بالنعمة**". (٨٨)

إن اكتشاف مثل هذه القيمة لا بد أن يكون منزهًا عن المنفعة أو المصلحة حتى يتسنى الكشف عن جميع القيم الجمالية الأخرى التى توجد فى الطبيعة :

" **فالكشف عن القيمة الجمالية يجب أن يكون بعيدًا عن المنفعة أو أى قيمة أخرى داعمة للحياة. وبهذا نستطيع اكتشاف الاختلافات الجمالية التى توجد فى الصحراء مثلا**".(٨٩)

وبهذا التجرد نستطيع الوصول بسهولة إلى أن الطبيعة مالكة للقيمة.

- "**قيمة التنوع والاختلاف الوراثىGenetic-Diversity Value**":وهى عبارة عن منفعة طويلة الأمد بغرض نفع الإنسان، لذا على الإنسان الحفاظ على الكائنات الفردية مهما كان ضارة الآن:"**فالسموم الموجودة اليوم فى النباتات قد تكون مصدرًا لمبيدات الآفات والأعشاب أو أدوية للغد، وهذه المصادر التى تعد مجهولة اليوم لا يمكن حمايتها خارج مواقعها الطبيعية، وإنما لابد أن توجد كامنة فيها خلال الحفاظ على النظم البيئية الطبيعية**".(٩٠)

ويعد الغرض من ذلك هو إيجاد مخزون من التنوع الجينى كاحتياطى يتم اللجوء إليه فى اللحظات الحرجة، أو أثناء الكوارث، لذلك تعد الطبيعة بمثابة "احتياطى جينى أو وراثى"(٩١)، **حيث "لا يمكن التنبوء باحتياجاتنا المستقبلية أو التطبيقات غير المكتسبة للنباتات التى تبدو بلا فائدة حاليًا، فقد تصبح يومًا ما مصدرًا لأحد العقاقير المهمة، كعقار لمرض اللوكيميا مثلاً**"(٩٢).

ويأتى ذلك متسقًا مع أهداف الثورة البيولوجية التى أجازت للفلاسفة على حد تعبير "رولستون" "**فتح حوار للنقاش حول التنمية المستدامة sustainability شريطة العدالة**"(٩٣). كما تهدف أيضا إلى أن يصنع مجتمعًا

جديدًا، لا مجتمعًا معدلاً، مجتمعًا ليس مجرد صورة مكبرة من مجتمعنا الراهن ، وإنما مجتمع جديد. (٩٤)

- "**القيمة التاريخية Historical Value**": تمدنا الطبيعة بالقيمة التاريخية من خلال جانبين: الثقافة والتاريخ. فالمهتمين بدراسة ما هو ماضٍ، وحاضر، ومستقبل فى الطبيعة يستطيعون على ماضى الأشياء ـ مثل ظهور البشرية ـ التى توجد فى الطبيعة، والتنبوء بمستقبلها بالرغم من صعوبته، ويقول "رولستون":

"**إن تفسير الطبيعة يعد من الأبحاث الشاقة التى قد يقوم بها عالم الطبيعة، حيث إن البشر يقيمون الوضع الحالى ويكتبون عن الفصل الحالى، من قصة الأرض المستمرة**"(٩٥) ويتنّاسون حركة التاريخ ، وهذه الحركة شبهها "رولستون" بالنهر:

" **يبلغ عمر النهر حوالى بليون سنة، وقد سافر الأفراد على ضفتيه لمدة مليون سنة يسجلون فيها مرورهم عبر آلاف السنين. وإذا أمكن أن يمتد هذا النهر ليدور حول الأرض ، فإن رحلة الإنسان ستكون نصف هذه المسافة...إن هذه المسافة الماضية التى تم قطعها قد ولت وأصبحت منسية ، ولكنها لازلت بداخلنا، وذلك لأن الحاضر ما هو إلا ما تبقى وما هو مستمر من الماضى... إن الماضى والحاضر والمستقبل لا ينتظمون معًا كحبات الخرز كل يوجد بمفرده بشكل مبسط، إنهم ينبعون معًا كمنبع النهر ومصبه بشكل طبيعى. فالجيل الحالى المتغطرس قصير النظر إذا ما اعتقد أن الماضى قد مات، وأن المستقبل لم يولد بعد، ولا يوجد سوى الحاضر على قيد الحياة. أما**

من لديه بعد نظر ، فيرى أنه كى تحيا الحاضر لا بد أن تنقل معك الماضى إلى المستقبل." [٩٦]وبهذه الحركة نستطيع الكشف عن وجود استقلالية للطبيعة بعيدًا عن الإنسان ، ومن ثم تعد مالكة للقيم.

- "**قيمة استخدام الرموز الثقافيةCultural-Symbolization Value ":** فأحيانًا ما يستمد الأفراد قيمهم من الطبيعة ويعتمدون عليها فى استيحاء بعض الرموز المعبرة عن ذلك، وهذه الرموز غالبًا ما تكون من الطبيعة، فلننظر على سبيل المثال إلى: "**النسر الموجود على علم أمريكا، إنه يرمز إلى تطلعات أمريكا نحو الحرية والقوة والجمال...** ".[٩٧]

كذلك غالبًا ما تأتى الثقافة الإنسانية معبرة عما يجول فى الطبيعة من مناظر طبيعية جمالية، مما يدل على الانتماء إلى الطبيعة:

"... **فلكل دولة شعار معين يأتى منسجمًا مع الطبيعة ؛ الأسد لبريطانيا، والدب لروسيا ... كما أن لكل منزل يحمل طابعًا قديمًا ومألوفًا معبرًا عن الطبيعة ، حيث ستجد بداخله على سبيل المثال : ممرات المياه ، الفجوات المائية التى تدخل علينا الشعور بالانتماء الى الطبيعة. فالثقافة دائمًا ما تختلط بالمناظر الطبيعية...**"[٩٨]وهذا يدل على أثر الطبيعة فى تشكيل وعى الإنسان.

- "**قيمة بناء الشخصية Character-Building Value**": يمكن التماس ذلك فى الأماكن الطبيعية والتى تعد ملائمة بشكل خاص لبناء الشخصية وفقًا لعديد من التجارب: "**فالعديد من المنظمات دائمًا ما تلجأ إلى**

الطبيعة لبناء شخصية الأولاد والبنات،لا سيما فى فرق الكشافة، والمعسكرات الكنسية".(٩٩)

كذلك العديد من الفضائل يتم اكتسابها فى المناطق المفتوحة مثل:الكفاءة الأساسية وحب البقاء والتكيف الجسدى والمخاطرة الذكية والتواضع والبساطة والزهد والاستقلال...الخ. ولعل الأهم من ذلك هو أن الطبيعة بها قيمة علاجية وفقًا لما يقره المهتمون بمجال الطبيعة وتشير عديد من الدراسات إلى أن فى التوازن النفسى عند الإنسان يتحسن بالتعرض للطبيعة.(١٠٠)

ومن ثم يمكن القول إن القيم المختلفة السابقة التى تحملها الطبيعة متأصلة فى الطبيعة مما يوحى بمدى استقلاليتها عن الإنسان، ومدى اعتماده عليها، وهذا ما جعل "رولستون" يصف الطبيعة قائلاً :"إنها ينبوع الحياة، ولعلنا نشعر بنوع من الوعد فى الطبيعة ليس فقط بمعنى القوة الكامنة الواعدة ، وإنما أيضا من حيث الحصول على الاستقرار والثبات على الأرض من أجل الحياة" . (١٠١)

لكن هل الإنسان طبقًا لنظرة "رولستون" الشاملة، مجرد شىء سلبى ينفعل بالطبيعة دون أى تدخل منه أو سيطرة؟، أم أن لـ"رولستون" رؤية أكثر شمولية عن الإنسان.

(جـ) رؤية "رولستون" الشاملة للإنسان:(السمو الإنسانى Human Superiority)

أشرنا سابقًا إلى أنه من الجوانب المهمة فى فكرة "الشمولية"عند "رولستون": أن الحياة الموضوعية أساس، للحياة الذاتية. فضلاً عن اهتمامها بالكليات أكثر من الأفراد بغرض الحفاظ على عفوية الأرض. والسبب فى ذلك:"**أن الفرد إذا فُقدّ فإنه قابل للتكرار ، ولكن النوع إذا فقد فلا يمكن إعادة تكراره أبدًا**"(١٠٢).

يعطى "رولستون" بذلك قيمة كبرى للأنواع ـ أى الكيانات الكبرى مثل الإنسان...الخ ـ نظرًا لدورها المنتج فى الطبيعة باستمرار، لذا يرفض ما يؤدى إلى انقراض أى نوع من الأنواع على الأرض، لأن هذا معناه إنهاء "**قصة حياة فريدة للأبد**"(١٠٣).ولعل الاهتمام بالانقراض ليس محض آراء مثالية،وإنما أشبه"**بقطع صفحات من كتاب غير مقروء**"(١٠٤)،لأن الانقراض بالنسبة لـ"رولستون" بمثابة تعطيل للعمليات الإنتاجية التى تنتج القيم، بل هو أخطر من قتل الكائنات الفردية، فهو قتل(للجوهر) بعيدًا عن (الوجود) أى الروح والجسد معًا(١٠٥)، كما تتمثل أيضا قيمة النوع عند"رولستون" فى كونه معبرًا عن التواصل بين الأجيال يقول:"**إن النوع صورة خاصة من الحياة تكشف لنا عن رواية تنتقل عبر الأجيال**"(١٠٦).

فالأنواع إذن لها قيمة كبرى لأنها منتجة أو مبدعة للقيم، لذلك هناك واحبات كبرى لا يلتزم بها سوى البشر تجاهها(١٠٧)بغرض الحفاظ عليها. لكن

لماذا البشر دون سواهم؟ ، وما السمات المتوفرة فيهم دون غيرهم التى تؤهلهم لهذه المكانة؟

فى حقيقة الأمر هناك عدة سمات ـ منها ما نعلمه ومنها ما لم نعلمه حتى الآن ـ مثل : قدرة البشر على نقل المعلومات غير الوراثية من جيل إلى آخر عبر لغة مكتوبة ومحكية ، والقدرة على ابتكار أنظمة تكنولوجية عملاقة قادرة على توليد آثار مشابهة لتلك التى تنتجها الأنظمة الطبيعية على الكوكب، والقدرة على استخدام الثقافة (عوضًا عن الانتخاب الوراثى) كأداة فى معركة البقاء ، والقدرة على تطوير ومعالجة المعلومات المجردة ، مما يولد أنظمة كتلك التى تُعرف باسم العلم أو اللغة. (١٠٨)

كما يتميز الإنسان بقدرته الخلاقة على الإبداع، وبناء الحضارة، وتأسيس قيم إنسانية تحكم العلاقات بين البشر،وهذا بسبب امتلاكه لخيال خصب، وبسبب إدراكه الشامل الذى بوسعه أن يفكر فى كل شىء ويدرك كل شىء والذى لا يقتصر على ما يخص الجنس الواحد، بل يمتد إلى جميع الموجودات الأخرى. وليس أدل على ذلك من أن هناك بعض البشر يفكرون فى حقوق الحيوانات ، وحقوق الطبيعة، وهذا ما لا نجده عند أى نوع آخر من المخلوقات. (١٠٩)

لقد فطن"رولستون" إلى كل هذه الصفات وأضاف صفة"السمو الإنسانى Human Superiority" أى السمو على الذاتية والجوهر، ويفصل ذلك قائلاً:

" **إن البشر هم كائنات أسمى معرفيًا وأخلاقيًا ونقديًا وثقافيًا**"(١١٠). ولا يكتفى "رولستون" بذلك الوصف وإنما يتعمق واصفًا إياهم "**بأنهم الصورة الأكثر حيوية من صور الحياة، كما أنهم الكائنات الأكثر تعقيدًا بها** "(١١١). وتكمن

أكثر الأشياء ندرةً وإثارة فى الكون "**فى أن للبشر عقولاً مذهلة، وهذه العقول ربما تكون أكثر شيئًا نادرًا ومثيرًا فى الكون**"(١١٢).

ويوضح "رولستون فكرة تعقد العقل البشرى حيث نجد تمتعه بكثيرٍ من المزايا التى تؤهله عن غيره من الكائنات الحية، فها هو "هانز يوناس (١٩٠٣م ـ ١٩٩٣م) Hans Jonas " قد اهتم بالممارسة الداخلية للخيال عند الإنسان باعتبار أن الخيال إحدى مزايا العقل البشرى، والذى يتميز عن التذكر عند الحيوان. فالذاكرة الإنسانية تتجاوز التذكر الحيوانى بواسطة وسائل الخيال ومقدرته على الإنتاج الحر للأشياء. فعندما دخل المكتشفون الكهوف ووجدوا رسومًا وخطوطًا على الحوائط ثم إنتاجها صناعيًا، أدركوا أن الإنسان كان يسكن هذه الكهوف. فالحيوان لا يستطيع أن يتخيل ويرسم، لأن هذه الرسوم لديها وجود رمزى يخص الإنسان، كذلك فثمة فائدة حيوية للرسم فى حالة الإنسان، فى حين أن نشاط الحيوانات يهدف إلى تلبية احتياجاته الحيوية مثل التغذية والتكاثر والبيات الشتوى.(١١٣)

كما أن هذا التعقد العقلى يُمكّن البشر وحدهم من الابتعاد عن أنفسهم، ومن ثم تقدير الآخر بما فى ذلك القيمة الجوهرية للطبيعة؛ فالبشر كائنات مدهشة لأنهم يستطيعون رؤية المشهد الذى يوجدون فيه.(١١٤) ومن ثم تقييمه. فالبشر إذن هم وحدهم من لديهم القدرة على:

" **الاهتمام المذهل بكافة قطاعات البيئة، وليس أنفسهم فقط... لأول مرة تقوم إحدى صور الحياة ـ أى البشر ـ بتقييم شىء خارج محرابها، وتهتم**

بشكل مكثف بما هو أبعد من مجالها البراجماتى ... نحن نلتقى بهذا المخلوق الذى يستطيع التقييم عند بعد"(١١٥).

ويتضح من النص السابق رؤية "رولستون" للقدرة الإنسانية على السمو من خلال تقييم الإنسان للكائنات الحية الأخرى ومن ثم رعايتها. تلك القدرة لا تتوفر لدى أى نوع آخر من الكائنات الحية؛ فتفاعل الكائنات الحية غير الإنسانية مع بعضها البعض ما هو: "**إلا صراع، حيث يهتم الكل بنفسه وينافس الآخرين فى الافتراس والسبق؛ فآكلوا اللحوم يقتلون آكلى العشب الذين يقتاتون الحشائش. فكل كائن حى يندفع داخل العالم ليحصل على موارده**"(١١٦).

لذلك يرى "رولستون" أن العلاقة بين الكائنات الحية غير الإنسانية ما هى إلا علاقة صراع لأنها مستغرقة فى وجودها، أى تحقيق حالة الاستقرار لها، وغير قادرة على التركيز على أى شى سوى بقاءها فقط. فالحيوانات غير الإنسانية لديها رؤية متمركزة حول الطعام، ورؤية متمركزة حول ذاتها لنشر (النوع)(١١٧)،ويؤكد ذلك قائلاً:

"**إن لكل نوع طبيعى مكانًا خاصًا به...ولكن لا يستطيع أى من الباقين الوصول إلى سمو الشخصية... فالحيوان الذى لديه المقدرة على الثقافة (مثل أنيشتاين كإنسان) يدرك مقدارًا كبيرًا من القيم فى حياته، مقارنةً بالحيوان غير القادر على الثقافة(مثل الكنغر أو الفأر). وهذا لا يعنى أن هذه الحيوانات ليس لديهم قيم جوهرية... ولكن هناك فروق فى المقدار فقط**"(١١٨).

ومن ثم تعد الكائنات الفردية غير الإنسانية وحدات كبرى بارعة فى قنص القيم الأداتية من أجل ذاتها، مما يجعلها مقيدةً بالمأوى الخاص بها، لذلك لا يمكنها تقدير الترتيب الأكبر الموجود فى النظام البيئى أو إدراك أن النظام البيئى نظام منتج للقيم(١١٩). بعكس الإنسان الذى لديه قدرة على صياغة رؤية شاملة، وبصيرة أخلاقية، وأفق متعدد. مما يعطى للبشر عدة ميزات لعل أبرزها:

"**الإحساس بصور الغيرية Altruism الخارقة للطبيعة وغير المسبوقة على الكوكب** "(١٢٠).أى إحساسه بالموجودات الأخرى فى الطبيعة، فالبشر هم من يستطيعون النظر إلى ما وراء الحاجات غير المتمركزة حول الذات، والاهتمام بها ورعايتها أيضا، وهم بذلك يصبحون أكثر إنسانية، لأنهم يساعدون فى إيجاد "**إنجاز متعدد أكثر تعقيدًا**"(١٢١).

وبصفة عامة يكمن الاختلاف بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية الأخرى **فى** "**التفوق فى حب الأخر، ربما كحب أنفسهم** "(١٢٢).

لكننا نرى ـ الباحث ـ أن رؤية "رولستون" للإنسان والتى يُرجع فيها سمة السمو الإنسانى إلى قدرته على حب ما يوجد فى الطبيعة، ومن ثم الاهتمام به دون أن يحدث العكس تشتمل على عدة إشكاليات: حيث لم يوضح "رولستون" هل للإنسان القدرة على حب كافة المخلوقات التى توجد فى الطبيعة، أم تلك التى لديها إدراك ذاتى فقط كالحيوانات على سبيل المثال؟. هذا فضلاً عن أنه ليس كلُ البشر فى الدرجة نفسها من الحب والتقدير للكيانات الأخرى، فهناك بعض البشر غير الأسوياء. كما أننا نلحظ أن "رولستون" مُصر على الإشادة بالقدرات الإنسانية لدرجة أنه أخفق فى الإقرار بالأضرار التى لحقت بالطبيعة

من تلوث هواء،ومياه،وتربه ...الخ والتى جاءت نتيجة إساءة استخدام الإنسان وعلومه المختلفة. كما عمل "رولستون" على انتقاء صفات الإنسان والتى رآها تمثل أساسًا لسموه مع العلم بوجود صفات فى بعض الحيوانات غير موجودة فى الإنسان، بل قد تميزه على الإنسان، مثل تمتع الطيور بقدرتها على الطيران. أليس فى ذلك تحيز ؟!

ونتيجة لهذه العنصرية اعترض "رولستون" على الرؤية التى تشير إلى أن كل الكائنات الحية ينبغى معاملتها بالقدر نفسه من الاحترام، ولعل هذا الموقف فى علم القيمة وبالتالى الأخلاق التطبيقية يجعل من الصعب على الفرد إبداء حكمه فى الأمور الأخلاقية، وخاصة عندما ينشأ صراع فى الاهتمامات بين البشر والكائنات الأخرى.(١٢٣)

مثل هل يمتنع الإنسان عن أكل لحوم الحيوانات فى مقابل الاهتمام برعايتها؟!.

ومن ثم قدم "رولستون" تسلسلاً هرميًا للفئات ذات الأولوية فى الطبيعة؛ حيث يحتل البشر أعلى قيمة جوهرية، يتبعهم الحيوان، ثم الحياة النباتية، وأخيرًا الميكروبات.(١٢٤) والسبب فى إخراج هذا التسلسل بهذا الشكل اعتقاده بأن الكائنات العليا ـ أى البشر ـ لهم قيمة جوهرية أكثر من سائر الكائنات الأخرى لأنها "**تدرك معدل أكبر من القيم الأخرى، وتمثل انجازًا تطوريًا عظيمًا**"(١٢٥).وذلك يعنى أن البشر يهتمون بذاتهم فضلاً عن الآخرين كما أشرنا. ولكن ليس البشر هم من يحتفظون بأكبر معدل من القيم، وإنما يحتفظ "رولستون" بأكبر قيمة أصلية فى الطبيعة إلى النظام البيئى، والسبب فى ذلك:

"**أن الفرد يكون مبرمج على بناء المزيد من نوعه فقط... بينما النظام البيئى ينشى المزيد من الأنواع ككل**"(١٢٦) ولهذا فهى تعد مصدرًا للقيم المتعددة، وهناك واجبات ينبغى أن يقوم بها البشر تجاه هذا النظام مثل: الكشف عن كل مكوناته، وإصلاح عيوبه، والحفاظ على القيم التى يولدها داخل المجتمع الأحيائى، لهذا نتساءل كيف يمكن أن يحدث التفاعل بين الطبيعة والإنسان ؟ وما القيم الناتجة من ذلك التفاعل؟ ، وما مكانة الكائنات الأخرى ـ الحيوانات على سبيل المثال ـ فى منظومة القيم عند "رولستون"؟

(ثالثاً):الرؤية الشاملة لـ "رولستون" فى التفاعل بين الإنسان والطبيعة:

تتميز الرؤية الشاملة لـ "رولستون" فيما يتعلق بالنظام البيئى بأنها رؤية وسطية؛ فهو لم ينحاز لطرفٍ على حساب طرفٍ آخر. فلم ينحاز مثلاً إلى الهيمنة الإنسانية على حساب الطبيعة مثلما انحاز فلاسفة الدين فى العصور الوسطى ـ كما أشرنا سابقًا ـ على سبيل المثال، ولا إلى الطبيعة مثلما فعل "جون باسمور" ـ كما أشرنا سابقًا أيضًا ـ. وإنما تميزت رؤيته بالوسطية والاعتدال بين الإنسان والطبيعة، حيث حافظ على الحيوية البيولوجية للنظام الطبيعى، فضلاً عن سمو الإنسان وهيمنته فلقد وصف هذا النظام بأنه:"**نظام حيوى وإنسانى على نحو متسامٍ**"(*)(١٢٧).لكن ما طبيعة التفاعل فيما بينهما؟، وكيف يحدث؟،وما القيم الشاملة الناتجة من جراء هذا التفاعل؟

(أ) طبيعة التفاعل بين الإنسان والطبيعة :

تتمثل طبيعة التفاعل بين الإنسان والطبيعة فى المحافظة من جانب على "مكانة الإنسان" فى النظام البيئى؛ تلك المكانة التى دمرتها كل من: نظريتى

التطور والداروانية. فبسبب الداروانية لم يعد مفهوم البشرية تاجًا على رأس المخلوقات؛ إذ أصبح البشر مثل كل الأنواع الأخرى، حيث يتم اختزالها إلى مكانة الحادثة البيولوجية. فالإنسان وفقَ هذه الرؤية منحدر من أنواع أخرى قديمة ودنيا، ليس جديدًا بأية حال، فالبنية الجسدية للإنسان تشبه الثدييات، وكل العظام الموجودة فى هيكله العظمى تشبه تمامًا عظام القرد.(١٢٨)وبذلك تقوض الدارونية شعور الإنسان بالامتياز والتعالى، فالتحليل الداروانيى لأصل الأنواع، وبخاصة تأكيده على الميراث البيولوجى المشترك مع الحيوانات الرئيسة كان خطوة حاسمة فى تقويض الشعور بالامتياز الذى يؤيد فكرة سيادة البشرية(١٢٩) .

ومن جانب آخر؛ تحاول طبيعة التفاعل السابقة أيضا "الإقرار بوجود الطبيعة المستقلة" المتطورة باستمرار وعدم تجاهلها، فلا يظهر التفرد الإنسانى فيها إلا عندما يدرك الإنسان القيمة الجوهرية المستقلة عن الموجودات الأخرى ومن ثم يظهر التفاعل فيما بينهما. لذلك "**لا تعد البيئات مجرد أماكن مادية فقط وإنما أماكن إدراكية Percpetual أيضا، نتعاون فى صنعها وتحديد هويتها بشكل إدراكى حسى**".(١٣٠)

ويؤكد "أرنولد بيرلينت (١٩٣٢م -) Arnold Berleant"(*) من خلال النص السابق على التفاعل بين الإنسان والطبيعة من خلال كونها ليست أماكن مادية فقط عند نظرة الإنسان لها للوهلة الأولى، والتى تتمثل فى كونها مجرد تربة، وماء،ورياح ...الخ . وإنما هناك ما هو أبعد من ذلك عندما يتداخل الإنسان بوعيه وإدراكه فى الكشف عما وراء الأماكن المادية فى معرفة: تاريخها التطورى والبعد الروحانى...الخ الخاص بها.

اتفق "رولستون" مع "بيرلينت" فى هذا الرأى الذى لا يظهر هذا التفاعل إلا من خلال المواجهة بين ثقافة الإنسان مع الطبيعة. ويمكننا الكشف عن ملامح هذا التفاعل فى الآتى:

١. تعد النظم الطبيعة منبعًا للقيم، فإذا اعتبرنا فعل التقييم خاص بالإنسان وثقافته دون غيره، فإنه لا يتم إلا بوجود شىء ذى قيمة بشكلٍ متأصل، وإلا ما استحق التقييم من الأساس: "**فمن الصعب تحقيق التميز فى الشخصية عن طريق تقييم شىء لا قيمة له، فالأشياء التى لا قيمة لها لا تثير انتباهنا نحوها. ولعل الامتناع عن تدمير تلك الأنواع التى توجد فى الطبيعة بلا داع يبدو أنه يعتمد على وجود قيمة ما تعبر عن تميز الشخصية الإنسانية...أى تعتمد على مقدار من الحساسية والتميز تجاه أشياء العالم الطبيعى الموضوعى وما تتصف به من قيمة**"(١٣١).

ويقصد"رولستون" من النص السابق أن تميز الفرد لا يتم إلا من خلال إدراك القيمة الطبيعية الموضوعية غير الإنسانية بغض النظر عن مصالحه الذاتية. بمعنى أن ارتباط الفرد بالأنواع المجاورة Neighbors الأخرى مثل: الحيوانات أو النباتات...لا يتم إلا من خلال شعوره بنوع من الصلة البيولوجية، التى تجعلهم فى موضع تقدير.(١٣٢)

٢. كما تعد النظم الطبيعة أيضا موردًا لتهذيب الفضيلة الإنسانية، فضلاً عن تأثر الإنسان بالقيمة والجمال الكامنة فيها، لذا لا يستطيع الاستغناء عنها: "**فالطبيعة هى مكان للالتقاء، ليس للعمل فيها وإنما لنتأملها، لكى تحتوينا فى كيانها المنظم، وليس لتحتوينا نحن فى ترتيبنا الوجودى. ولعل هذا يفسر ميلنا**

للاعتقاد بأن علاقتنا بالطبيعة هى علاقة ترويحية، تلك العلاقة التى قد تدفعنا إلى الاعتقاد بأنها علاقة لا قيمة لها، لأننا لا نقوم بأى عمل هناك... فنحن نحتاج الأشياء الأخرى فى الحياة والتى نقدرها لقيمتها الجوهرية وليست الأداتية، فالأمر يشبه حاجتنا إلى الموسيقى والفن والفلسفة والدين، والأدب والدراما. ولكن هذه الأنشطة أنشطة إنسانية، بينما لقاؤنا مع الطبيعة يكون له سمة إضافية فهى وسيلتنا الوحيدة للتواصل مع قيمة الجمال كقيمة مستقلة... فهى تحقق نوعًا نوع من التكامل علينا أن نلحظه وإلا خسرنا الكثير. فهذه الطبيعة تسبقنا وتتجاوزنا بالرغم من هيمنتنا الكاملة عليها".[١٣٣]

ويؤكد ما سبق احتياج الإنسان للطبيعة هذا من جانب، فضلاً عن أنه الوحيد القادر على تقدير القيمة الطبيعية، ومعرفة التاريخ الطبيعى التطورى للطبيعة. ولعل إصدار الأحكام عن القيمة الموجودة فى الطبيعة التى ترتبط "بالوصف والتفسير الأيكولوجى"، [١٣٤] تؤكد دور الإنسان دون غيره من الموجودات.

٣. كما تتمتع النظم الطبيعية أيضا بالحيوية والنشاط مثلها مثل الكائنات الحية. ولكن يكمن الفارق بينهما فى أن نشاط الكائنات الحية وحيويتها دائمًا ما يتمثل فى الدفاع عن بقائها فقط،على النقيض من الطبيعة التى تسعى لزيادة الأنواع المختلفة، وليس نوعها فقط، مثل بعض الكائنات الحية الفردية. فتظهر حيوية الطبيعة فى انتاجها المستمر لصور مختلفة من الحياة، ثم تتخذ صفات مثل:الفردية والتنوع والكم والكيف. فالطبيعة بهذا الشكل تمتلك قيمةً

جوهريةً نظرًا لإنتاجها هذه الصور من الحياة وبالتالى تصبح منتجة للقيم. [١٣٥] وتستخدم الطبيعة وسائل معينة لإنتاج هذه القيم مثل: المعاناة والمقاومة.

فإذا نظر الأفراد إلى المعاناة ومقاومة العدو نظرة سلبية، لأنها تسعى إلى تدمير الأفراد، وفكرة الافتراس دليل على ما يقول "رولستون". ولكن على المستوى الكلى الإيكولوجى يرى أنهما مميزتان، حيث تستخدمهما النظم الإيكولوجية بغرض تحفيز أو خلق حياة جديدة، فاندثار صور بعينها من الحياة يعد أمرًا ضروريًا لاستمرار إبداع الطبيعة فى إنتاج حياة أخرى وهذا ما يؤكده "رولستون": "**إن فكرة التكامل بين الأنواع والأفراد تعبر عن المجال الذى يحقق التكامل بين الافتراس والتعايش معًا، البناء والهدم، الازدهاؤ والتدهور**"[١٣٦].

فبالأضداد السابقة تتولد القيم من اللا ـ قيم داخل النظام الطبيعى وتتكشف للإنسان :

" **إن الطبيعة عشوائية ومشروطة وعمياء ومدمرة...ومليئة بالمعاناة ثم فى النهاية تؤول ‘لى الموت! يعكس هذا فى النهاية الظلال فقط، ولكن لا بد من وجود ضوء لتتكون هذه الظلال. فالطبيعة فى حقيقتها مرتبة وخصبة وفعالة وتنتقى من أجل التكيف، وهى وفيرة ومعقدة ومتنوعة وتتجدد فيها الحياة من قلب الموت، وتكافح من أجل شىء أسمى. فهناك قيم كما أن هناك لا قيم فى الطبيعة، ولعل اللاقيم هى التى تقود بشكل منظم إلى تحقيق القيمة**".[١٣٧]

فالكائنات الحية من خلال منظورها الضيق تنظر إلى هذه اللا قيم نظرة سلبية، ولكن من خلال النظرة الشاملة سرعان ما تتحول إلى قيم إيجابية وتتغير

النظرة. فعلى سبيل المثال: إذا دمرت الطبيعة بستانًا ما من الأشجار نجد أن الإنسان يعد ذلك شيئًا سلبيًا، ولكن من خلال النظرة الشاملة نجد أن هناك بعض الحشرات التى قد تتغذى على هذه الأخشاب المُدمرة مما يمثل قيمة لها،ويقول "رولستون" عن ذلك:

"**مثلما يوجد القبح فى الطبيعة توجد قوى تحويلية تدفعه نحو الجمال فى قلب هذا الفناء الدائم...فعندما تتغلب القوى السلبية بشكل مؤقت على القوى الإيجابية، فإن النتيجة تتمثل فى قبح موضعى. آجلاً أم عاجلاً سوف تتدهور كل حياة إلى الفناء،ولكن نهاية الفرد لا تعنى أبدًا نهاية القصة، فالفرد قد يتم التضحية به لصالح حياة من يسلبه إياها،ولكن بطريقة أو بأخرى سيعاد تجميع عناصره مرةً أخرى بمجرد أن تتحلل. فدائمًا ما تُبعث حياة جديدة بعد تدمير الحياة القديمة**".(١٣٨)فالطبيعة بكل مكوناتها هى نعمة من الله للإنسان،وعليه أن يسعى للحصول على رزقه دون إفساد أو إتلاف،مِصدقًا لقوله تعالى:"**كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعبثوا فى الأرض مفسدين**" **صدق الله العظيم**"(١٣٩). (١٤٠)

إذن ليس هناك شر فى الطبيعة وإنما كل ما فى الوجود خير. وهذا جوهر الفكر الكلى الأيكولوجى عند "رولستون" المرتبط بمسألة تحول القيم من السلب إلى الإيجاب، حيث ينشأ التفاعل بين الطبيعة والكائنات الحية بما فيها الإنسان. فالتحولات دائما ما ترتبط بفئتين متناقضتين:الصراع، والكمال. فكل شىء موجود فى الطبيعة له قيمة، ويمثل موردًا لشىءٍ آخر قدر المستطاع.

فالعنكبوت يأكل الذبابة...وذئب البرارى يأكل سنجاب الأرض الذى يتغذى بدوره على العشب وبذوره التى تنمو فى الجثث المتعفنه، وحيوان السمندر يتخذ من البعوض غذاءً له...(١٤١)

وفى ضوء المثال السابق يتضح أن هناك بعض التحولات للموارد من حياة لأخرى، لذا يصعب القول إن هناك قيمًا قد نفقدها للأبد. ولكن الأفضل القول إن الكائنات تكتسب قيمًا على مدار تاريخها من الطبيعة (١٤٢)، ومن ثم تظهر عقلانية النظام الطبيعى من خلال التحول باستمرار ممن هو سلبى إلى ما هو إيجابى، يقول "رولستون" بهذا الصدد: "**إن هذه التحولات فى التاريخ الطبيعى ليست مجرد مسيرة أو انحراف عشوائى، بل هى تُظهر عقلانية النظام من خلال المحاولة والخطأ**". (١٤٣)

كما يتضح أيضا من خلال فكرة تحول القيم، وكذلك الرؤية الشاملة للمعاناة؛ ظهور حيوية الطبيعة فى بناء العالم وتشكيلة، ثم انعكاس ذلك على عقل الإنسان لتقييمه.هذا على النقيض من الذاتيين الذين يرون أن الإنسان هو الذى يشكل العالم ويؤكد ذلك"رولستون" قائلاً:"... **إن بناء العالم لا يتم فى عقل المشاهد أو الملاحظ... وإنما يتم بناءه فى الخارج، ونصل لتدفق المعلومات أو الطاقة من خلال التركيز القصدى للعقل؛ غير أن العقل لا يساهم فى هذه السمات، بل ينبغى أن يصيغها من خلال الانتباه والتقرير. وعلى العكس فإننا نكتشف سمات وخصائص أكثر ثراءً فى الطبيعة**".(١٤٤)

فدور الإنسان إذن اكتشاف سمات العالم الطبيعى وتقدير قيمته، وليس معنى ذلك أن هناك انفصالاً بين الطبيعة والإنسان، وإنما اتصال، لأن الإنسان جزء من الطبيعة ككل :

"**فالتقييم ليس بعيدًا عن الكل، وإنما هو جزء من الكل، والقيمة ليست قابلة للانفصال ...إن القيمة تظهر بشكل منظم فى دفعات قوية بناءة فى الطبيعة، ولعل أفضل رؤية مُرضية تفسر ظهرو القيمة يتمثل فى نمط يتمركز حول البيئة، بحيث يدرك الوعى قيمًا جديدة، وصياغة مدخلاً لها إلى مجال القيمة الطبيعية الموضوعية**".(١٤٥) فالبشر إذن هم من يدركون طبيعة النظام وأهميته من خلال المحافظة على الأنواع : " **فنحن البشر الذين نلاحظ هذا النظام ، نجد أن هذا النظام الذى تتشابك فيه العديد من الأفراد الطبيعية فى شبكة الحياة مُرضيًا بالنسبةِ لنا، ليس فقط بمعنى أننا نرضى به، وإنما أيضًا لأننا نرى كيف يؤدى إلى ازدهار الأنواع بشكل واضح للأفراد** "(١٤٦).

لذلك ليس الإنسان بمعزل عن القيمة الطبيعة، وإنما هو مندمج معها فى سياق كلى، ولعل السمات السابقة التى ظهرت فى التفاعل بين الإنسان والطبيعة مثل: اعتبار الطبيعة منبعًا للقيم ومورداً لتهذيب الإنسان، بالإضافة إلى حيويتها. فالإنسان جزء منها: "**فالشخص الذى يقوم بالتقييم قد تطور هو نفسه من كل هذه الأشياء المحيطة به، كل الأعضاء والمشاعر ما هى إلا نتاجات طبيعية. لقد لفظت الطبيعة كل من المجرِب الذاتى وكذلك العالم الذى يتم تجربته موضوعيًا...فالطبيعة نظامًا تشخيصيًا**".(١٤٧)

فالطبيعة إذن هى كل متكامل يشمل إطارها الكرة الأرضية ـ وهى كوكب الحياة ـ وما يؤثر فيها من المكونات الأخرى للكون ... ومحتويات هذا الإطار ليست جامدة، كالسلعة فى مخزن، بل إنها دائمة التفاعل مؤثرة ومتأثرة. والإنسان واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع كل مكوناتها بما فيه أقرانه من بنى البشر. وقد ورد هذا الفهم الشامل للبيئة على لسان السيد "يوثانت" الأمين العام السابق للأمم المتحدة حيث قال:" إننا جميعا شئنا أم أبينا نسافر سويًا على ظهر كوكب مشترك...وليس لنا بديل معقول سوى أن نعمل جميعا لنجعل منه بيئة نستطيع نحن وأطفالنا أن نعيش فيها حياة كاملة وآمنة"(١٤٨).

قدم "رولستون" أبلغ وصف فى التفاعل بين الطبيعة والإنسان: إن الطبيعة عملية إنتاجية أو اقتصاد سوق، وأما الكائنات التى توجد فيها فهى إنجاز"سيبرانطيقى Cybernetic"وأما الكيانات غير البشرية فهى تعد "مبرمجه Programmed"وتعد النظم الطبيعية مشروعات هندسية(١٤٩). ونظرًا لأن البشر هم المنتج الأكثر تعقيدًا فى العملية الإنتاجية هذه فإنهم بمثابة أعلى قيمة جوهرية (١٥٠).

(ب) القيم الشاملة الناتجة من التفاعل بين الإنسان والطبيعة :

كثيرًا ما اعترض "رولستون" على ما يسميه بالانحياز العنصرى لنوع معين من القيم على حساب النوع الآخر. والحقيقة أن النظرة الشاملة لديه مَكّنته من نظرة أكثر شمولية للتقييم؛ فالطبيعة ككل عبارة عن نظامٍ هائلٍ مفعم بالطاقة والقوة، بدأ منذ قرابة خمس عشرة إلى عشرين بليون سنة، ثم توسع ونما وتطور. ويعد كوكب الأرض أحد نتاجات هذا النظام، وله أهمية كبرى، لأن الحياة

تطورت على سطحه منذ ما يقارب من ثلاثة بلايين عامًا، وبعد عدة مراحل مختلفة من التطور استمرت ملايين السنوات، أنتجت الطبيعة أكثر نتاجاتها تطورًا وهو الإنسان العاقل. لكن طالما أن الإنسان هو آخر تطور من تطورات الطبيعة، فلماذا يتم تقييم المنتج وليس النظام القادر على إنتاج هذه المنتجات؟!. ويشبه "رولستون" هذه المعضلة التقيمية بالعثور على أوزة تضع بيضًا من ذهب، ثم نقوم بتقييم البيض بدلاً من الأوزة. (١٥١)

تلك هى المشكلة التى واجهها "رولستون"، وحاول حلها من خلال تسخير رؤيته الشاملة فى صياغة ثلاثة أنواع من القيم: "القيم الأداتية أو الوسيلية"و"القيم الباطنية"، و"القيم النسقية".

أما عن "القيم الأداتية Instrumental Value ": فتعنى أن الشىء قد يكون وسيلة تؤدى إلى غاية ما، فالكائنات الحية دائمًا ما تسعى نحو البحث عن القيم الوسيلية مثل: استفادة النباتات من المياه وأشعة الشمس ... الخ، فالكائن الحى مشغول دائمًا بالبحث عن القيم الوسيلية التى يستفيد منها(١٥٢).

ومن ثم يتضح أن الماء وأشعة الشمس بالنسبة للنبات بمثابة قيمة أداتية يحتاجها النبات من أجل الوصول إلى قيمة أعلى منزلة ، وهى القيم الجوهرية المتمثلة فى الحفاظ على البقاء.

أما عن "القيم الباطنية Intrinsic Value": فهى قيمة فى حد ذاتها دون أن تُسند إلى أى شىء آخر(١٥٣)، ولعل أبرز وجود لها يتمثل فى صراع الكائنات الحية من أجل البقاء ، بوصفه غاية فى حد ذاته. لذلك فللكائنات الموجودة فى الطبيعة مثل: النباتات، الحيوانات...الخ هدف وغاية وهو المحافظة

على حياتها، يقول "رولستون": " **إذا نسبنا القيمة للحياة التى تم الدفاع عنها... إذن فلابد أن ننسب القيمة للنباتات أيضا، وذلك لأنها تدافع عن حياتها بوصفها خيرة فى حد ذاتها** "(١٥٤).

ولكن قد يظن البعض خطأً وجود انفصال بين القيمتين السابقتين(الأداتية والباطنية)، وإنما فى الحقيقة قد يحدث أن تتداخل القيم الأداتية والباطنية معًا داخل النظام البيئى، بحيث لا يوجد كائن يكون مجرد وسيلة فقط، وإنما كل كائن لديه قيمة جوهرية أساسية خاصة به بجانب القيمة الأداتية. فعندما يقوم أحدهما بالتضحية بحياته من أجل حياةٍ أخرى، فإن قيمتها الجوهرية ستنهار وتصبح غير جوهرية، ولكنها فى الوقت نفسه تتحول إلى قيم أداتية نوعًا ما أى إلى كائن آخر(١٥٥). لذلك يؤكد "رولستون" أيضا:

"**إن النظام البيئى عبارة عن شبكة تختلط فيها مواضيع القيمة الجوهرية مع مجموعة من القيم الوسيلية**"(١٥٦). ويمكن التماس هذا الاختلاط فى حياة الكائنات الحية فيقول "رولستون":

"**إن الكائنات منظمة ذاتيًا Self-Maintaining، فهى تنمو وتشعر بالتوتر كاستجابة للمثيرات الخارجية. كما أنها تتكاثر ويتصف جيناتها بالروعة. هذه الكائنات تقاوم الموت، كما أنها تضع حدودًا قويةً أيضا منيعة بينها وبين سائر الطبيعة، هذه الكائنات تستوعب المواد البيئية وتُسخرها لحاجاتها، كما أنها تكتسب وتحافظ على ترتيب داخلى ضد أى اتجاهات مضطربة ذات طبيعة خارجية**"(١٥٧).

يتضح من النص السابق أن الكائنات الحية تستجيب لأى مثير خارجى سواء أكانت تستفيد منه ومن ثم تظهر القيم الأداتية، أو حتى إذا كان يمثل تهديدًا حقيقيًا لحياتها فتدافع عن نفسها، وتقاوم الموت من أجل الحفاظ على بقائها، ومن ثم تظهر القيم الجوهرية.

أما عن "القيم النسقية Systematic Value": فهى تمثل نوعًا جديدًا للقارىء، وهذا النوع من القيم اعتمد عليه "رولستون" من أجل الإشارة إلى أن الكائنات عبارة عن "نظم انتقائية" تستطيع انتقاء القيم، لكن هناك ما هو أعلى من مجرد الانتقاء وهو ذلك المَعنىُ بإنتاج القيم المتمثل فى النُظم البيئية(١٥٨) المنظِمة والمنتِجة للقيم. لذلك تعد تلك النُظم مصدرًا لكل القيم، فهى تُنتج الأنواع، ومن ثم تُسخر مواردها لخدمتها ، فهى بالتالى منبع القيم:

"**فالنظام البيئى ليس له ذات، ولكنه رغم ذلك منظم ذاتيًا. كما أنه يدرك التاريخ الطبيعى الخاص به، ويعمل على ملء هذا التاريخ الطبيعى بكيانات حية يتسم كل منها بالتنظيم الذاتى أيضًا... وهذا ما نسميه بالقيمة النسقية لهذا النظام**"(١٥٩).

فنحن لم نعد نتحدث عن قيم أداتية يُبتغى من ورائها منفعة، ولا قيمة جوهرية يدافع عنها الكائنات الحية، وإنما نرتقى إلى مرتبة أعلى من القيم تجمع بين ما هو باطنى وأداتى ، بل تعد مصدرًا لهما، أى أنها تنتج هاتين القيمتين. لذلك يمكن القول إن القيم النسقية تمثل نوعًا من التكامل والاتساق داخل النظام الطبيعى للقيمتين السابقتين.

يقول "رولستون" فى هذ الصدد : "**فنحن لم نعد نواجه قيمًا أداتية، وكأن النظام الطبيعى يحمل قيمه بشكل أداتى... كما أن القضية ليست قضية قيمة باطنية، وكأن النظام الطبيعى قد احتفظ بصورة موحده للحياة لنفسه. لقد وصلنا إلى مرحلةٍ ما نحتاج فيها إلى مصطلح ثالث وهو: القيمة النسقية... فالقيمة النسقية هى العملية الإنتاجية المثمرة، والتى يتمثل إنتاجها فى قيم جوهرية داخل شبكة من العلاقات الأداتية. وعندما يجد البشر أنفسهم فى ذلك المحيط الحيوى... بغض النظر عن ثقافاتهم وواجباتهم تجاه غيرهم من البشر أو حتى الحيوانات أو النباتات، فإنهم يدينون بشىءٍ ما لهذا الجمال والتكامل والاتساق الموجود فى المجتمع الحيوى**"(١٦٠).

ومن ثم تكمن أهمية القيم النسقية فى تغير شكل التقييم، والحد من وتيرة الانتقادات التى قد توجه أحيانًا عند الانحياز فى التقييم للإنسان فقط أو للطبيعة فقط. فقد عمل "رولستون" من خلال صياغته للقيم النسقية على إضفاء منظور كلى وشامل لكافة ما يوجد فى الطبيعة، بل الطبيعة ذاتها.

" **فلم يعد البحث قاصرًا على مركز واحد فى النظم البيئية...ولا نبحث عن القائمين بالتقييم وإنما القدرة على تكوين القيمة، نحن نبحث عن منبع للروابط المتداخلة بين مراكز القيمة (النباتات والحيوانات الفردية ...الخ)... نحن نبحث عن نظام قادر على تقديم ودعم القيمة**"(١٦١).

لذلك هذا النظام يمكن وصفة بـ"الخصوبة" على حد تعبير "رولستون" وذلك بسبب قدرته الإنتاجية على انتاج القيم بكافة أشكالها، فهو "رحم الحياة"و"الأرض هى الأم".

والدليل على ذلك أنه عندما نواجه الموت نفكر أيضا فى الميلاد، لأن الاثنين لا ينفصلان على حد سواء من خلال المنظور البيولوجى أو الدينى، فالفكرة الأساسية فى كلمة "الطبيعة" هى "الولادة Birthing"[١٦٢].وبهذا لا يخلق البشر قيمة للطبيعة، حيث القيمة متأصلة بشكل جذرى فى الطبيعة. لكن بالرغم من ذلك فإن الجذور الموضوعية للقيمة فى الطبيعة لا تظهر إلا من خلال الذات الإنسانية[١٦٣].

لكن من عيب القيم النسقية أنه بالرغم من استحداث "رولستون" لها داخل منظومة تقييم الطبيعة بكافة محتوياتها، إلا أنه اعترض على المساواة بين الكائنات الحية مثل:الحيوانات أو النباتات والآراء المطالبة بمعاملتها بقدر من الاحترام والمساواه[١٦٤].

ففى ظل مناداة أغلب فلاسفة البيئة بالمساواة بين الكائنات الحية مثل:"بيتر سنجر (١٩٤٦م ....) Singer,Peter" الذى رفض التمييز العرقى أو الجنسى أو العقلى، ونادى بتحرر الحيوانات من سوء استغلال الإنسان. وأكد فى ذلك بالرجوع إلى فلسفة بنتام الأخلاقية، حيث رفض "بنتام" فكرة التمييز ونادى بالمساواة فى الحقوق بين الكائنات الحية . فلكل فرد حسبانه مثله مثل غيره وبكلمات أخرى إن مصالح كل كائن يؤثر فيه فعل ما ، ينبغى أخذها فى الحسبان، وإعطاؤها الأهمية عينها، كالمصالح مماثلة لأى كائن آخر.[١٦٥]ومن ثم تعد المساواة فى الحقوق هى الركيزة الأساسية فى بناء فلسفة الحيوان الأيكولوجية عند "سنجر" ، حيث إن قضية المساواة لا تعتمد على الذكاء أو الاستعداد الخلقى ... فالمساواة عبارة عن فكرة أخلاقية وليست توكيدًا بسيطًا

لواقعة ، وليست كذلك وصفًا للمساواة الفعلية المزعومة بين البشر[١٦٦].وهذا ما أكد عليه أيضا "بول تايلور" الذى رأى أن كل الكائنات تمتلك قيمة متأصلة Inherent متعادلة ، لذا لا يجب التمييز فيما بينهما. فالكائنات الحية موجودات مدركة تسعى إلى تحقيق خيرها ومصلحتها الخاصة، ولا يتم هذا بطريقة آلية، بل تؤدى وظائفها الحيوية التى تضمن استمرارها وبقاءها بطريقة واعية وقصدية[١٦٧].

إلا أن "رولستون" كانت أفكاره بخصوص الحيوانات غير متسقة مع اتجاهات أغلب فلاسفة البيئة السابقين. فبالرغم من دعواته بعدم التسبب فى أى معاناة للحيوانات وعدم معاملتهم بقسوة[١٦٨]، إلا أنه كان يرفض المساواة بين الكائنات الحية فهو يقول:أنا أتغذى على الحيوانات، وأتركها تفنى فى البرارى، أقتل الماعز لأنقذ بعض النباتات المهددة بالانقراض، أسمح بالصيد فى ظل شروط النظام البيئى، وأقبل بتجارة الحياة البرية كوسيلة للإدارة، ومن ثم أبدو عديم الرحمة[١٦٩]. والسبب فى دعمه تلك الممارسات أنها تأتى متسقة مع استخلاص القيم الموجودة فى الطبيعة، ومن ثم التفاعل بين الطبيعة والإنسان، فبينما يدعو"رولستون"إلى استخلاص القيم من الطبيعة، يدعو أيضا إلى استغلال الحيوانات والقضاء عليها[١٧٠]. فمصالح واهتمامات البشر ينبغى أن تحتل الأولوية على مصالح واهتمامات الكائنات الأخرى[*] [١٧١].

لذلك يَعدُ "رولستون" كل كائن حى مركز الحياة ويستحق الاحترام بسبب نضاله من أجل الحفاظ على هذه الحياة، لكن الخير الذى يحققه البشر فى

الحياة لا بد أن يفوق الخير الذى تضحى به النباتات من أجل الحصول عليه(١٧٢).

ومن ثم ينبغى على البشر إدراك ما هو طبيعى بالنسبة لهم داخل ذلك العالم، لذا تتمحور رؤية "رولستون " عن الحيوان فى ضرورة إدراك ما يلى(١٧٣):

١.ما الذى يشترك فيه البشر مع الحيوان.

٢.طبيعة البشر.

٣.كيف تختلف الثقافة البشرية عن الطبيعة.

ومن بين الاهتمامات الإنسانية بخصوص الحيوان، والتى تأتى متسقة مع مبدئه وهو استخلاص القيم من الطبيعة ما يلى: الاستخدام الطبيعى للحيوان فى تصنيع الأحذية، والصوف فى تصنيع المعطف، والأنسولين لمرضى السكر(١٧٤). كما أنه يشجب رياضة الصيد من أجل الغنائم ، أو لمجرد ممارسة الرياضة. كما يشجب قتل الأفيال لصنع مفاتيح البيانو العاجية...الخ فهذه بالنسبة لـ "رولستون" لا تعد طبيعية. غير أنه يقبل رياضة الصيد إذا كان الصياد يأكل لحوم الحيوانات التى يصيدها. (١٧٥)

وبالكيفية نفسها يدين "رولستون" التضحية الدينية بالحيوان، ولكنه يقول: إنه قد يسمح بهذه التضحية إذا كانت هذه الأضاحى تؤكل كما يفعل اليهود والمسلمون، فعندما تؤكل لحوم الحيوانات أثناء الصيد أو الأضاحى فيكون هناك عنصرًا طبيعيًا فى ذلك(١٧٦).

أما أولئك الذين يُظهرون نوعًا من التعاطف مع آلام الحيوان ويرغبون فى تخفيفها، فإنه يراهم عديمى الإحساس بشكل بيولوجى!!![١٧٧]لأن الطبيعة تقتضى التعامل مع هذه الحيوانات بما يتوافق مع طبيعتهم ، فهم بذلك يتخلون عن طبيعاتهم.

قد يعترض البعض على رؤية "رولستون" فى التعامل مع الحيوانات لأنها غير مألوفة ونستدل على ذلك بنقد "هيتنجر Hittinger,ned" الذى وجهه لـ "رولستون" فى التعامل مع الحيوان حيث رأى أن تلك الرؤية تسمح بضياع القيم:

"**رغم أن نظرية رولستون تشمل على مبدأ عواقبى Consequentialist... والذى يشير إلى أن القيم الناتجة عن سلوكنا ينبغى أن تتساوى على الأقل من القيم المفقودة، إلا أن مبادئه التى تحمى الحيوان تتسم بالضعف** "[١٧٨].فبالرغم من دعوة "رولستون" الأخلاقية بالحفاظ بل احترام حياة الكائنات الحية لاسيما الحيوانات إلا أن رؤيته النهائية للحيوان والسماح للإنسان باستغلالها يهدم صدق مبادئه.

فعلى سبيل المثال؛ يرفض "رولستون" "مبدأ الإفتراس Predation" ويعده مبدئًا لا أخلاقيًا، لأنه يتعارض مع مبدأ احترم الكائنات والتساوى فى الحقوق. إلا أنه فى الوقت نفسه قد أجازه بشرط تحقيق منفعة للإنسان فضلاً عن تعبير الانسان من خلاله عن ممارسه حقه الطبيعى. وهذا فى حقيقته يعد نوعًا من التناقض فكيف يسمح بممارسه الافتراس الذى أعده مبدئًا لا أخلاقيًا منذ البداية، بغرض تحقيق منفعة معينة ثم يتحول إلى اعتبار هذا المبدأ أخلاقى بل من لم يمارس ذلك يعد غير منسجمًا مع الطبيعة[١٧٩].

ولكن بالرغم من نقد "هيتنجر" السابق؛ إلا ان الباحث يرى بصفة عامة أن رؤية "رولستون" عن الحيوان تأتى متسقة مع مبادئه ككل والخاصة بجعل القيم طبيعية أى من خلال الطبيعة. كما أنها تعد تبريرًا لمتبعى بعض الديانات بذبح الأضاحى، بغض النظر عند دلالاته المقدسة. ولكن ما نأخذه على هذه الرؤية عدم الاهتمام بالجوانب السيكولوجية للحيوان، والنظر إليها من زاوية المنفعة فقط.

لكن نعاود الرجوع إلى التساؤل الذى طرحنا: فى مطلع هذا العنصر والخاص بطبيعة العلاقة التفاعلية بين الطبيعة والإنسان. لنلاحظ أن العلاقة بين البشر أو الكائنات الحية والطبيعة هى علاقة تجاذب بين المتضاد ويقول "رولستون" عنها:

"**مثل الأم والزوجة...فالطبيعة هى القلب الذى نخرج منه جميعًا، وتظل هى شريك الحياة ، وهما تيار الغيرية الذى نحتاج إليه بعمق**"(١٨٠).

فالتقييم البشرى للطبيعة لا يأتى إلا من خلال الارتباط البيئى معها. لذا يعد تأكيد "رولستون"على أن الطبيعة هى منبت القيم هدف لمجابهة النظرة المتدنية للطبيعة التى كانت سائدة فى المجتمع الحديث، غير أن استخدامه لفكرة خصوبة الطبيعة، أو أنها بمثابة مكان للإنتاج يدل على وجود شىء روحانى فى فلسفته يتسم بالقداسة،مما قد يحل معظم المشكلات التى قد تواجه الإنسان، وهذا ما سنحاول توضيحه.

(رابعاً): قيمة القداسة بوصفها حلاً .

يعد مفهوم القداسة ذا أصول دينية تعود جذوره إلى الديانات القديمة التى اهتمت بالإنسان، وشرعت القوانين لخدمته، فقد كان يُنظر إليه على أنه صورة من صور الكمال، فكان يُقدس أحيانًا، وأحيانًا يعد ابنًا للآلهة.وكثيرًا ما كانت ترسم الشعوب صورة للآلهة مستقاة من صورة الإنسان القوى الجميل والحكيم، ما يعنى أنه كان يُعد أرقى الكائنات جميعًا.(١٨١)تلك الصورة التى حتمت عليه التزامًا شخصيًا بالمحافظة على الحياة وتقديسها(١٨٢)، ومن ثم وجب عليه ألا يقتل وألا يعبث بالحياة والأحياء دون مبرر.(١٨٣)

ولم يكن الإنسان وحده ذا قدسية، وإنما كانت الطبيعة أيضًا. فلقد تأثر العديد من الأفلاطونيين المحدثين ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ بفكرة الطبيعة المقدسة، فهى عند"أفلوطين(٢٠٥م ـ ٢٧٠م) Plotinus"علة النظام ومصدره، حيث تُعرف الطبيعة عنده بأنها القوة التى تُنشىء الكائنات، وهى تنطوى على فكر يسمى بالمبادىء الأولية أو مبدأ الكائنات. فيؤكد "أفلوطين" على فكرة وحدة الوجود، فليس هناك أى انفصال لمملكة الإنسان عن سائر الكون، فالإنسان كما يراه "أفلوطين" قريب فى جوهره من كل الكون، حتى من كل الموجودات الكونية الصغيرة فهى مثله محاطة بالروح الإلهية.(١٨٤)

كما أن الطبيعة عنده مثلها مثل الإنسان، فهى تشترك معه فى توجهها نحو المقدس، وهذا ما عبر عنه فى تاسوعاته قائلاً : "إن عالمنا هذا هو الذى تحفظ فيه محاكاة الملأ الأعلى. فهذه الأرض حافلة كلها بالحيوان على اختلاف

أنواعه، وهذا العالم كله والسماء معه حافلة بالكائنات الخالدة. ثم إنها (السماء) لماذا لا تدرك وتلتقى الرب الأكبر..." (١٨٥)

من هذا المنطلق يتضح أنه باستشعار الإنسان للقداسة يستطيع المحافظة على البيئة وتقدير قيمتها وهذا ما تأثر به "رولستون". وتعد دراسته للدين واللاهوت، وحصوله على درجة الدكتوراه فى هذا التخصص عام (١٩٥٨م) من جامعة "أيدنبرج" رافدًا رئيسًا لفكرة القداسة. فضلاً عن عمله كـ "قس" بإحدى الكنائس بولاية فرجينيا الأمريكية لما يربو على التسعة سنوات منذ عام (١٩٥٨م) حتى عام (١٩٦٧م). (١٨٦)لكن كيف استطاع تطويع فكرة"القداسة" داخل فلسفته الإيكولوجية؟ وما ملامحها؟.

(أ) تبرير "رولستون" لقيمة القداسة:

يرجع السبب فى اتجاه "رولستون" نحو دراسة الدين واللاهوت ومن ثم تطويع القداسة داخل فلسفته، إلى أنه رأى أن الاعتماد على العلوم واحدها للكشف عن القيم غير كافٍ مثلما الاعتماد على علم البيولوجيا فى دراسة القيم الايكولوجية. فهى لا تستطيع الإجابة عن كافة التساؤلات التى تدور فى خُلد الإنسان؟ لذا رأى أن"**العلم وحده لا يولد القيمة...فعجز العلم عن إنتاج القيمة قد حافظ على كون الدين خصبًا حتى فى عصر العلم**"(١٨٧). فلم يستطع العلم وحده الكشف مثلاً عن السبب فى وجود ملايين من الأنواع تعيش مع الإنسان على كوكب الأرض، وما الحكمة من وراء وجودها، يقول"رولستون":

"**لم يستطع العلم ولا الفلسفة تقديم حجة تقتضى أو تبرر وجود كل من الخمس ملايين نوع التى تسكن معنا على الأرض، كما لا يوجد أى حجة تبرر بشكل حاسم قيمة**

هذه الأنواع...وليس هناك حجة منطقية يمكن من خلالها الدفاع عن وجود الأفيال مثلا أو زهرة اللوتس أو الأسماك...ولكن كل فى محرابه يثرى قصة الأرض"(١٨٨).

إن مجال العلم هو الكشف عن ظواهر الموجودات وليس بواطنها التى تحتاج إلى تفسيرات أخرى من أجل الكشف عنها. فقد أشار فى مطلع كتابة "العلم والدين Science and Religion":

"... **إن العلوم بأى شكل من الأشكال تحاول التطرق للأسئلة الجوهرية بشكل ما هو فى النهاية غير كامل، لذا لا بد أن تكملها التفسيرات الدينية**"(١٨٩). فبذلك تصبح التفسيرات العلمية ناقصة تحتاج إلى اللاهوت، وكذلك التاريخ التطورى، من أجل معرفة الغاية من وراء ظواهر الموجودات:

" ... **فينبغى فهم الأحداث ليس فقط فى طبيعتها الخاصة والمتعددة، وليس فى فئاتها، ولا حتى فى ارتباطها العلىّ... وإنما فى الأجزاء التى تؤديها فى دراما الحياة. أحيانًا ينبغى فهم الشىء ليس فقط عن قرب، أى فى ضوء ما هو عليه الآن فى وجوده ، وإنما فى ضوء كيف سيصبح ...فتعد المبادىء العليا ... خارقة بالنسبة لإدراكنا، فهى ليست ظاهرة فى ذلك الشىء ، وليست واضحة فى أى مكان أخر فى النظام الطبيعى، ولكنها مختفية فيما لم يتم اكتشافه بعد...**" (١٩٠)

فالقيمة إذن والمبادىء العليا بعيدة عن مجال العلم الذى يمكننا من الوصول إلى الحقيقة الظاهرية فقط، وليس ما وراءها.لذا بات ضروريًا الاعتماد على التبريرات الدينية من أجل تقديم رؤية كاملة للتساؤلات الجوهرية، وهذا ما أخذه "رولستون" من دراسته اللاهوتيه. فقد مكنته دراسته للاهوت من الربط بين

القيم المستمدة من الطبيعة وعقيدته المسيحية. وبهذا يربط بين ثنائيتين: "ما هو طبيعى و "ما هو روحى" فيقول عن ذلك: "**إن ما نسميه بعقيدة الوجودى - العلمى تحمل اسمًا مركبًا من شقين، أو بمعنى أصح نوعًا من التكامل بين الطبيعة والإله، بين الأبعاد الموضوعية والذاتية للواقع. أما عن الشق العلمى من الاسم فيهتم به العلم أى المجال الخارجى الظاهرى للطبيعة ... وأما الشق الوجودى من الاسم فيهتم بالجوهر الداخلى المميز للروح والخاص بالدين**"(١٩١).

ويحاول "رولستون" بهذه الثنائية تقديم فهم جديد للدين مرتبط بالطبيعة، بعيدًا عن تلك الرؤى الكلاسيكية التى تصور الإله باعتباره مدبرًا للعالم الطبيعى كيفما شاء بطريقة يعجز على الإنسان العادى فهمها. وهذه الرؤية الكلاسيكية يصفها "رولستون" بكونها خرافة(١٩٢).

لهذا دعا "رولستون" إلى استبعاد هذه الرؤية، واستبدال "الربوبية المسيحية" بالرؤية الكلاسيكية والتى تجعل الإنسان يستشعر عظمة الإله من خلال توقير وتبجيل الظواهر الموجودة فى الطبيعة الخلابة على مدار تاريخها التطورى المذهل، ومعرفة ما وراء هذا التطور، أى الوصول إلى المقدس. ويقول "رولستون" :

" **أن الفرد العلمانى Secular سيقول إن الحياة معطاه Given ،وربما ينبغى عليه احترام هذا العطاء، لكن الشخص الدينى سيقول أنها هبه Gift، والهبة أكثر تحديدًا من العطاء ومن ثم سوف نحتاج إلى معرفة من هو معطى هذه الهبة**".(١٩٣)

وبذلك يجمع "رولستون" بين ثنائيتين متناقضتين فى آن واحد، ليس بغرض الوصول إلى الحقيقة فقط، وإنما معرفة ما هو كائن وراءها؛ عندئذٍ يستشعر الإنسان الخشوع والرهبة من حضور المقدس. ويمكننا التماس ذلك فى نظرة أجدادنا القدماء وهم يرتعدون تجاه سماعهم للرعد والبرق الذى يعرفونه ولم يكن لديهم تفسيرًا له. هذا الشعور يمكن التماسه أيضا عند الأفراد الذين فى بداية وعيهم تجاه أى ظاهرة:

"**يتوفر الشعور بالخشوع بشكل أكبر عند الأفراد الذين تكون تركيبات المعرفة لديهم أقل ثباتًا وتحديدًا كأن تكون حديثة التطور، أو تحدث فى أوقات التغير الاجتماعى الهائل**"(١٩٤).

كما يظهر الخشوع أيضا فى الطبيعة من خلال شعورين: الشعور بالرحابة والاتساع والشعور بالألفة والانسجام: "**فالخشوع إزاء الطبيعة يتضمن ذاتًا تشعر بالتضاؤل تجاه الطبيعة... والاستشعار بوجود قوة عليا...فالأشياء الطبيعية الشاسعة بالنسبة للذات (كشلالات المياه، وغابات الخشب الأحمر...الخ) تثير مشاعر الخشوع لدينا أكثر من غيرها، كما تولد الألفة أيضا** "(١٩٥).

إذن من منطلق معرفة ظواهر الطبيعة وما يوجد وراءها، وقصور العلم وحده للوصول إلى تلك المعرفة تظهر فكرة القداسة الدينية عند رولستون ومن ثم تبريرها. لكن ما ملامح القداسة فى فلسفته؟

(ب)ملامح قيمة القداسة عند "رولستون" فى فلسفته الايكولوجية:

أشار "رولستون" - من قبل - فى سياق رؤيته الشاملة إلى أن الطبيعة مالكة للقيم، وعدها مصدرًا لإنتاج القيم المختلفة. بل تمادى فى وصف إخفائها وجودًا مقدسًا لا يستطيع كشفه إلا الإنسان:"**فتعد البيئة نصًا مقدسًا ينبغى تفسيره تمامًا مثل الإرث الثقافى الموجود فى مكتباتنا**".(١٩٦)وبهذا تظهر روعة التعبير الإلهى فى الكشف عن نفسه من خلال الخلق المقدس للطبيعة والموجودات التى بداخلها. وتعد تلك العملية الإنتاجية، التى هى مصدر للقيم، دليلاً على وجود شىء يتحكم فيها ويوفر لها العناصر التى قد تنضب يومًا ما. لذلك يشبه "رولستون" هذه العملية بمصطلح الوفرة أو الخصوبة ويقول بهذا الصدد:

"**إن الأرض كوكب يتسم بالوفرة، والخصوبة تعد أعمق أنواع القيمة والتى يتم الوصول إليها كلاسيكيًا عن طريق الخلق والتكوين المستمر**".(١٩٧) وهذه الخصوبة لا يتم فهمها إلا بوصفها إبداعًا مقدسًا معبرًا عن وجود الإله.

والسؤال الآن، كيف استطاع "رولستون" تطويع إبداعات الطبيعة إلى مفهوم القداسة، وما دور الإنسان فى تلك النظرة المقدسة؛ هل هو متداخل مع الطبيعة فى نظرة مقدسة واحدة أم ينفصل عنها؟. ويمكن الكشف عن تلك التساؤلات من خلال التطرق إلى ملاح القداسة فى فلسفة "رولستون" الإيكولوجية والتى تتمثل فى الأتى : "المعاناة"و"العناية الالهيه"و"وحدة الوجود".

١. القداسة فى المعاناة بوصفها سببًا لخصوبة الطبيعة(الخير الإلهى المقدس):لاحظ "رولستون" أن الطبيعة ليست ميكانيكية، أى ليست مجرد آله

صممها إله مقدس، وترك كل ما فيها يتصرف بشكل آلى، وإنما هناك نوع من القدسية فى المعاناة المتمثلة فى قصة "الموت والبعث". فالألم والمعاناة فى ظاهرهما شر طبيعى، لكن فى حقيقتهما توابع لخير أكبر، وهو التطور والتقدم العام للحياة. حيث إن ميلاد حياة جديدة يأتى عبر المحنة والمعاناة يقول أن: "**الصراع مستمر دائمًا،ومن قلب الصراع تولد الحياة، فالطبيعة دائمًا ما تُولد وتُبعث من جديد مع ألم المخاض**"(١٩٨). فهناك بالفعل معاناة من أجل الوصول إلى شىء ما أسمى، حيث إن الطبيعة دائمًا ما تتجدد فى خضم فنائها. (١٩٩)

وليس معنى فناء أى شىء موجود فى الطبيعة أنه شر، وإنما هو خير أتٍ لا محالة. بل يمكن اعتبار هذا الشىء الفانى نوعًا من التضحية والفداء من أجل المستقبل. تلك التضحية التى شبهها "رولستون" بتضحية السيد المسيح الذى أنار الماضى الإنسانى بتضحيته، وكذلك الحاضر والمستقبل. كذلك فناء أى شىء فى الطبيعة هو بمثابة تمهيد فى الماضى لإنارة الحاضر والمستقبل. ومن ثم يصف "رولستون" الطبيعة بهذا الشكل بأنها "**صليبية الشكل** "(٢٠٠). بهذا يضفى نوع من القداسة على المعاناة.

ويعد أفضل فهم قدمه "رولستون" عن فكرة قداسة المعاناة التى توجد فى الطبيعة هو تشبيهها بآلام السيد المسيح ويقول فى ذلك: "**إن المعاناة هى مفتاح كل شىء، ليس بشكل جوهرى، وليس كغاية فى حد ذاتها، وإنما كمبدأ تحويلى... إن القدرة على المعاناة وصولاً إلى اللذة هو أمر طارىء وعظيم، بل هو جوهر المسيحية...إن كوكب الأرض هو أرض الميعاد والوعد، وهى التى ينبغى أن نموت من أجلها، ولعل كل تقدم فى العالم... يأتى فى النهاية**

تحت مظلة الصليب. فالقصة هى ألم وعاطفة استمرت لفترة طويلة قبل أن تصل إلى السيد المسيح. ومنذ البداية كان العديد من الخلق يضحون بأرواحهم فديةً لآخرين، وبهذا فإن المسيح لا يعد استثناءً عن النظام الطبيعى، وإنما مثال وتجسيد رئيس له...ولعل الرمز المبهم لذلك هو الصليب، فهو الرمز الذى يتبناه المسيحيون ليشيروا إلى الرب، وللمعجزة التاريخية المتعلقة بكفارة آلام المسيح ..." (٢٠١)

وبذلك يشير "رولستون" إلى مدى قدسية المعاناة ودورها فى خصوبة الطبيعة، ومن ثم إنتاج القيم والموجودات المختلفة والمتنوعة. لكن ما الضمانة المقدسة التى تعمل على استمرارية المعاناة وخصوبة الطبيعة فى إنتاج الموجودات المختلفة ؟ إنها العناية الإلهية التى تحافظ على ما يوجد فى الطبيعة.

٢. القداسة فى العناية الإلهية؛ بوصفها حفاظًا على كل ما يوجد فى الطبيعة: إن عناية الإله تشمل كل المخلوقات، فليس هناك فرق بين مخلوقات الله، أى ليس هناك مخلوقات ملعونة وأخرى غير ملعونة، الكل سواء ويقول فى ذلك: "**إن الإله ليس لنا وحدنا (نحن البشر) بل هو أيضا إله لتلك المخلوقات الطبيعية، فالإله يحب الطبيعة كما يحب الثقافة، وبذلك هو يُنعم على الطبيعة ويترك لها استقلالها التلقائى**"(٢٠٢). وبذلك ينبغى لكافة ما يوجد فى الطبيعة التعاون مع بعضه البعض تحت مظلة القداسة، فمن دون هذا التعاون يبدأ المجتمع فى الانهيار:" **فلقد خلقنا الله من أجل الصحبة والتعارف على كافة**

المستويات:مع الإله والأشخاص،وكذلك الأرض.وعندما ينهار هذا الإحساس،ينهار العالم"(٢٠٣).

وتظهر ميزة هذا التعاون فى ظهور السمو الإنسانى مجردًا من الوجود البيولوجى البحت محققًا ذاته: "**فالذين يحققون ذواتهم هم أكثر قدرة على إدراك العالم وكأنه مستقل، ليس فقط عنهم، بل عن البشر بشكل عام. ولعل هذا قد يصدق على الإنسان المتوسط فى أسمى لحظاته، أى ذروة خبراته؛ عندئذ يستطيع الفرد أن ينظر للطبيعة وكأنها موجودة فى حد ذاتها ولذاتها، وليس بصفتها مجرد ملعب إنسانى يوجد فقط لأغراض إنسانية**"(٢٠٤). ومن دون إدراك هذه الميزة السامية تظهر الخطيئة الإنسانية.

وليس معنى الخطيئة هنا أنها نتيجة الهبوط من عالم السموات إلى الأرض، وإنما هو نتيجة الإخفاق فى تحقيق السمو التطورى نحو الإنسانية الحقة. بمعنى النظر والسمو نحو ما وراء الحاجات المتمركزة حول الذات السامية، ومن ثم تقدير الوجود. فالبشر بذلك يصبحون أكثر إنسانية لأنهم يساعدون على الكشف عن وجود انجاز متعدد أكثر تعقيدًا(٢٠٥). أى وجود حيوات أخرى يشتركون معها، يلاحظونها، ويفضلونها على أنفسهم. فالخطيئة إذن هى تراجع إلى طور الوحشية، وانتهاج نهج الأنانية ، والبحث عن الشهوة والغرور...الخ ، وبذلك نخفق فى " **السمو إلى مصير إبن الإله**"(٢٠٦) .

لذا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه "رولستون" قى ضرورة التحرر من نظرتنا إلى الطبيعة ذات الطابع الاستهلاكى أو الاستغلالى والعودة إلى تولى منصب الإشراف والمسئولية، فإعادة البعث الروحى والقدسى مرةً أخرى يعد شيئًا

ضروريًا لاستعادة تلك العلاقة المتناغمة مع الطبيعة غير الإنسانية تحت ظلال العناية الإلهية[٢٠٧].فبهذه العناية يظهر الانسجام بين الإله وما يوجد فى الطبيعة، الإتحاد فيما بينهما.

٣. قداسة (وحدة الوجود Pantheism): يرى "رولستون" أن الطبيعة بمثابة مكان لاكتشاف الذات من خلال العزلة التى يمكن أن يحدث فيها اتحاد بين الروح والجسد معًا، وهذا ما ظهر فى حياة "اليسوع". فلقد عُمّدَ baptized بواسطة "يوحنا"، ثم دفعته الروح إلى الطبيعة لمدة أربعين يومًا حيث يوجد الشيطان هناك، فضلا عن وجود الروح أيضا، وهذا ما عبر عنه انجيل مرقص: "فى يوم عظيم من قبل، لقد ارتقى وخرج إلى مكان وحيد ، وصلى هناك "[(*)] (مرقص ١:٣٥) [٢٠٨]

وبهذه العزلة يظهر أول ملمح من ملامح وحدة الوجود، والتى تنعكس أيضا من خلال تداخل الإله فى النظام الطبيعى ومنحه صفة الخصوبة. وهذا التداخل يشبه وجود الشخص فى جسده، وهذا ما عبر عنه "رولستون" قائلاً:"**كيفية تجسيد الإله... تشبه كيفية استخدام الشخص لجسده...**" [٢٠٩].

فمثلما يستمد النظام الطبيعى حركته من روح الإله، كذلك الإنسان يعتمد على الطبيعة التى يوجد بها روح الإله. لذلك تعد الطبيعة كتابًا مقدسًا وموضعًا لتجلى الخالق واتحاد الإنسان معه عن طريق السمو، بل يمكن القول إن أبرز مثال على ظهور وحدة الوجود فيما بينهما هو المعاناة فمثلما يعانى البشر من أجل الخلاص يعانى الإله أيضا :

"**هناك إله عظيم ولكنه محتجب وراء وداخل كل طبيعة...إن الإله ينقذ من المعاناة، ولكن لم يظهر فى الإيمان اليهودى ـ المسيحى أن الإله يتجنب**

المعاناة فى تحقيق الغايات المقدسة. بل على العكس؛ فكما يتضح من نموذج الصليب، فإن الإله أيضا يعانى بما لا يقل عن معاناة المخلوقات، وذلك ليؤّمن لمخلوقاته حياة أكثر وفرة".(٢١٠)

أما عن الإنسان والمخلوقات فهناك معاناة أيضا تشبه معاناة الإله ويعبر عن ذلك"رولستون" قائلاً:

"**فى المسار الطبيعى؛ نجد أن هناك معاناة توجد لدى المخلوقات بشكل مستقل، وهى ناتجة عن دوافعهم الطبيعية... غير أن هذا الدافع يمكن تفسيره أيضًا فى ضوء الكل الأوحد، حيث إن الإله يعانى مع مخلوقاته ومن أجلهم من تشتت الوجود الإلهى المطلق، فكل مخلوق من المخلوقات يعيش على الأرض المقدسة وينجذب إليها**"(٢١١).

لكن الإنسان هو الكائن الوحيد من بين المخلوقات القادر على الاتحاد نظرًا لسموه وقدرته على تقييم الأشياء الخارجه عن ذاته، فهو يستطيع السمو من عالم الوحشية نحو الإنسانية:

"**إن الرجل الطبيعى ـ والمرأة ـ ينبغى أن يصبحا الرجل الروحى والمرأة الروحية، وتحتاج أرواحهما المنكسرة إلى أن تُلهم بواسطة الروح المقدسة، إنه الإحياء المقدس الذى يهذب البيولوجيا المجردة**"(٢١٢).

ويتبين لنا من ملامح القداسة السابقة وخاصة فى الملمح الأخير المتعلق بوحدة الوجود؛ اختلاف المقدس عند "رولستون" عن "الغنوصية" على سبيل المثال. فبينما ينطلق "رولستون" من رؤيته الشاملة إلى الطبيعة والإنسان وصولاً إلى المقدس، إلا أن الغنوصية لا تهتم بالعالم المادى ولا يمكن معرفته من خلاله، لذا يعتقد الغنوصيون أن العالم ليس مخلوقًا لله، ولكن لمبدأ أدنى. وأن

وجود هذا المبدأ يعد إفسادًا للمقدس؛ لأن سماته الأساسية هى القوة والتحكم. وكما أن العالم يغترب ويبعد عن الإله، فالإله هو الذى يبعد ويحرر من العالم ، فالإله باعتباره النفى للعالم لديه وظيفة عديمة تجاه العالم. (٢١٣)

إلا أن الباحث نرى أن رؤية "رولستون" المهتمة بربط المقدس بالطبيعة ذات قيمة نظرًا لـلإشكاليات الإيكولوجية المختلفة التى استعصت على الإنسان حلها مثل: التلوث والزيادة السكانية. ففى مؤتمر ستوكهولم على سبيل المثال، وهو أول مؤتمر دولى يعقد لمناقشة الأخطار التى تتعرض لها البيئة، والذى انعقد عام (١٩٧٢ م)، اختلفت وجهات النظر بين الدول الصناعية والدول النامية حول المسلك الواجب إتباعه إزاء الأزمات البيئة. إذ رأت الدول الصناعية ضرورة أن تبقى الدول النامية دون خطط تصنيع؛ لأن ذلك سيؤدى إلى زيادة تلوث البيئة؛ مما تنتج عنه مضاعفات وأضرار. إلا أن الدول النامية اعتبرنا هذا الصراخ بأهوال التلوث لا مبرر له ما دام الناس فى الدول الصناعية يستمتعون بمستوى معيشة مرتفع، إلى الدرجة أن تحمس البعض من إفريقيا وأمريكا اللاتينية وارتفعت أصواتهم بالقول:"مرحبا بالتلوث الذى سيرفع مستوى معيشة أبنائنا ومجتمعاتنا"(٢١٤).ومن ثم عجز الإنسان عن حل تلك الإشكاليات.

لكن باستشعار الإنسان للمقدس داخل الطبيعة، تظهر القيمة متمثلةً فى دور الإنسان فى المحافظة علىها. حيث تتحول النظرة البدائية نحو الطبيعة من كونها نظرة آلية عمياء تعتمد على الكم فقط، ومن النظرة إلى الإنسان بكونه مستغلاً لمواردها دون وعى، وأنه سبب دمار ما يوجد بها. إلى نظرة روحانية تعتمد على تقديس ما يوجد بها، بل إن كل ما تحتويه الطبيعة بما فيها الإنسان

ذو مكانة مقدسة تدل على وجود الإله. ومن ثم يستطيع الإنسان الحفاظ على البيئة وعدم الإساءة فى استغلالها.

(خامسًا) تقييم نقدى لفلسفة "رولستون" :

سنعتمد فى تقيمنا لفلسفة "رولستون" على إظهار الجوانب الإيجابية، وإظهار الجوانب السلبية:

(أ) <u>الجوانب الايجابية (أى ماله):</u>

١. لم ينساق "رولستون" وراء الآراء التقليدية التى تدعو إلى التحيز لأيٍ من طرفى المعضلة الإيكولوجية، أى أنه ليس من أنصار التمركز حول الذات، ولا أنصار التمركز حول الطبيعة.

٢. استطاع "رولستون" الربط بين طرفى المعضلة الإيكولوجية معًا ، محافظًا فى الوقت نفسه عن استقلاليتهم بشأن القيمة التى قد تختلف فيما بينهما. أى أن للطبيعة قيم ما ـ مثل قيم دعم الحياة والقيم الاقتصادية ...الخ ـ مستقلة عن الإنسان الذى له بالضرورة قيم قد تختلف نوعًا ما عن الطبيعة مثل ـ السمو الإنسانى ..

٣. استطاع "رولستون" من خلال فكرته عن "الشمولية" المحافظة على الأفراد من خلال المحافظة على الأنواع والكيانات الكلية ، أى ان الحفاظ على الكل يتضمن الجزء بداخله.

٤. استطاع "رولستون" من خلال فكرة "المقدس" حل الإشكاليات البيئية التى استعصى على الإنسان حلها، وذلك من خلال الشعور بالرهبة والخشوع، وبذلك تعد فلسفته الإيكولوجية بمثابة أخلاق بيئية جديدة.

(ب) <u>الجوانب السلبية(أى ما عليه):</u>

١. لم يضع "رولستون" تعريفًا دقيقًا، عن القيمة نستطيع التعرف من خلاله على ماهية القيم وخاصة القيم الطبيعية. مثل غيره من الفلاسفة ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ " رالف بارتون بيرى " الذى عرف القيمة "بالإهتمام Interest".

٢. دائمًا ما يربط "رولستون" القيمة بالوعى، وينسب ذلك الوعى إلى الإنسان وأيضا إلى الطبيعة. ونحن نعتقد أن الوعى عند كلا الطرفين مختلف عن بعضهما البعض، فإذا كانت الحيوانات والنباتات أجزاء من الطبيعة فهل يمكن المساواة بين مستوى وعيهما ووعى الإنسان؟ أعتقد أن الإجابة قد تكون بالنفى، فهناك مستويات مختلفة من الوعى والإدراك بين الموجودات.

٣. دائمًا ما ينسب "رولستون" وجود قيمة مستقلة للطبيعة بعيدة عن الإنسان. ولكننا نتساءل من الذى أطلق على هذه القيم التى توجد فى الطبيعة مسمى قيم، إنه الإنسان. ومن ثم يعد هو مكتشف تلك القيم ، لذلك ـ يرى الباحث ـ أن ما ينسبه "رولستون" للطبيعة بأنها مالكة للقيم ما هو إلا سمات من سمات الطبيعة المختلفة.

٤. بالرغم من وسطية اتجاه "رولستون" أثناء تناوله لإشكاليات البيئية، إلا أن رؤيته المتعلقة بالحيوان تعد أضعف ما فى فلسفته لوجود عديد من المتناقضات بداخلها. ففى الوقت الذى ينادى بحرياتها واستقلاليتها، يسمح بذبها وأكلها ...الخ.

الخاتمة ونتائج البحث:

سنتناول في هذه الخاتمة أهم ما توصلنا إليه من نتائج في ضوء التساؤلات المحورية التي طرحناها في بداية البحث وهي علي النحو التالي:

(أولاً): أما فيما يتعلق بالتساؤل الأول: كيف نظر "رولستون" إلى صراع الثنائية التقليدية فى القيم البيئية: "الإنسان ـ الطبيعة"؟. بمعنى هل ينبغى تبنى رؤية تتمحور حول الإنسان والإعلاء من شأنه على حساب الطبيعة والموجودات الأخرى، أم رؤية أخرى بعيده عنه؟.

لقد فحص "رولستون" كل حد من هذه الثنائية على حده، وانتهى إلى أن التوقف لإمعان النظر فى طرف دون الآخر لا يخلو من القصور والنقصان. فالإنسان وهو الحد الأول من المعادلة البيئية لن يستقر به المقام وحده فى الطبيعة دون عناصرها المختلفة من: مياه ورياح وتربة...الخ التى يعتمد عليها اعتمادًا مباشرًا، لذلك عارض الاتجاه القوى فى الفكر الحديث القائم على جعل القيم متمركزة حول الإنسان فقط، مما يؤدى إلى قصور معرفتنا بالطبيعة. فالطبيعة مما لا شك فيه أصبحت ترد على استغلال الإنسان، وتكاد تعصف بوجوده. ولنا العظة فى ذلك من الأحداث المأساوية التى عاشها العالم ومازال يعيشها حتى الآن، مما دعى "رولستون" إلى التخلى عن تلك النظرة الضيقة التى تُثمن من الإنسان ودوره فى ممارسة سيادته على الطبيعة، مناديًا بضرورة التعرف عليها عن قرب.

أما عن الحد الآخر من المعادلة ألا وهو "الطبيعة"، فيرى "رولستون" ضرورة الاعتراف بوجودها وبأسبقيتها على وجود الإنسان، وبتمتعها بكافة ميزات

الاستقلالية، وليس الإنسان إلا عنصرًا من ضمن عناصرها المختلفة يتميز بقدرته الواعية التى تجعله مختلفًا عن الآخرين.

لكن ليس معنى ما سبق أن"رولستون" يتجاهل دور الإنسان فى مقابل الطبيعة أو العكس، وإنما كانت له رؤية أكثر شمولية تتلافى ما فى الاهتمام بطرف دون الآخر من قصور الرؤية "الشاملة" الجامعة بينهما.

(ثانيًا):أما فيما يتعلق بالتساؤل الثانى: ما طبيعة رؤية "رولستون" الشاملة للقيم الإيكولوجية والتى من منظوره استطاع حل الصراع بين طرفى الثنائية السابقة؟،أى كيف استطاع"رولستون" من خلال رؤيته الشاملة حل النزاع التقليدى الدائر حول منبع القيم، هل الإنسان وحده منبع لها أم الطبيعة وحدها؟

لقد توصلنا إلى أن مفهوم الرؤية الشاملة عند "رولستون" يدور حول تقييم الطبيعة بكافة محتوياتها من أنواعٍ وأجناسٍ وأفرادٍ ـ فلا تختص تلك الرؤية بنوع بعينه أو جنس أو فرد- مثلما كان يتم النظر فى السابق إلى حد بعينه من حدود المعادلة البيئية، كما لا تتجاهل رؤيته فى الوقت نفسه التطور الطبيعى لأطوار النظم البيئية المختلفة منذ نشأتها وصولاً لما هى عليه الآن، فضلاً عن التمييز بين إملاءات الطبيعة على الإنسان، أى تأثر الإنسان بالطبيعة، وكذلك ثقافته النابعة من خلال وعيه، أى الإعلاء فى الوقت نفسه من مكانة الإنسان بوعيه وتفرده عن الآخرين. أى إنها رؤية أكثر شمولية من الرؤية التقليدية على رولستون ، وهذا ما نحتسبه تجديدًا.

ويتفق الباحث مع ما ذهب إليه "رولستون" فى هذا الصدد وفى ضوء نظرته الشاملة فهو ليس من أنصار ذاتية القيم فقط، ولا موضوعيتها فقط، وإنما

كان شموليًا حيث يرى أن الحياة الموضوعية أساس للحياة الذاتية، وليس هناك انفصال بينهما، فالكل فى حالة اتصال. لذلك تعكس تلك الرؤية وجود ضمير إيكولوجى ، بمعنى أنها تحدد مسئولية الكل عن عافية الأرض وما قد يحدث لها، فالكل مشترك فى أزمات الأرض وفى وضع حلولها أيضا.

وبهذا الاشتراك استطاع حل الصراع بين طرفى الثنائية:"الإنسان ـ الطبيعة" مؤكدًا فى الوقت نفسه، من خلال اعتماده على العلوم البيولوجية استقلالية الطبيعة ، وأنها مالكة للقيم وليس الإنسان.

فهو ينادى بإسناد القيم للطبيعة وليس الإنسان، أى يحاول جعل القيم طبيعية الشكل. واستشهد ببعض الأمثلة من العلوم البيولوجية لإثبات هذه الاستقلالية مثل:"أزمات النباتات" ... الخ ، وتوصل إلى وجود أشكال مختلفة من القيم التى تحملها الطبيعة ويستفيد منها الإنسان مثل: قيمة دعم الحياة والقيمة الاقتصادية والقيمة التجديدية والقيمة العلمية والقيمة الجمالية وقيمة التنوع الجينى والقيمة التاريخية وقيمة استخدام الرموز الثقافية وقيمة بناء الشخصية... الخ.

أما عن الإنسان فى ضوء النظرة الشاملة فبجانب وجود عدة صفات للإنسان تميزه عن سائر الكائنات الأخرى مثل العقل، إلا أن "رولستون" فطن إلى وجود صفة أكثر تميزًا وهى السمو الإنسانى والسمو من خلال تقييم الكائنات الحية الأخرى التى توجد فى الطبيعة ومن ثم رعايتها. تلك القدرة غير المتوفرة لدى أى نوع أخر من الكائنات الحية، فالبشر بوسعهم تجاوز الذات والاهتمام بسائر الكائنات ورعايتها، وهم بذلك يصبحون أكثر إنسانية.

وبتلك النظرة استطاع "رولستون" حل الصراع الدائر بين طرفى الثنائية: "الإنسان ـ الطبيعة" من خلال التوفيق بينهما ، لكننا نرى أن رولستون قد أخفق فى ذلك لأسباب التالية :

١.إنه اعتمد على العلوم البيولوجية من أجل الاستدلال على استقلالية الطبيعة، ومن ثم وجود قيم تنأى عن الإنسان، واستطرد قائلا أن هناك انسجامًا بين الحياة الموضوعية والذاتية . ونرى أنه إذا كنا نحن ـ أى البشر ـ من نصف العلوم البيولوجيه والوقائع التى نكتشفها من خلالها بلغة تضفى على هذا الشىء قيمة ما أو تصورًا ما، إذن فإننا نحن من نضيف القيمة إلى الأشياء . فكيف يكون الآمر كما يقول "رولستون": " إن العالم يخبرنا بما ينبغى أن يكون عليه، وفى الوقت نفسه نحن نشكل قيمنا تبعًا لفهمنا لما يبدو عليه العالم "[٢١٥]. فهو يخلط بين الأمرين، فتارة يقول إن العالم هو الذى يحمل القيمة ونحن نكتسبها من خلاله ، وتارة أخرى يقول إننا نعتمد على العلوم البيولوجية التى من خلالها نقول إن هذا الشىء ذو قيمة أم لا . فمن إذن الذى يصدر الحكم؟!!!

٢.إن معنى اعتماد "رولستون" على العلوم البيولوجية لإثبات استقلال الطبيعة، وانضوائها على القيم. أنه يصر على تعمد الخلط والوقوع فى "المغالطة الطبيعية"[*] أى يحاول الاستدلال "مما هو كائن" على "ما ينبغى أن يكون". ومن ثم إذا كانت معلوماتنا عما هو كائن مغلوطة أو ناقصة ، فبالضرورة ما ينبغى أن يكون سيصبح كذلك مشوهًا وناقصًا.

٣.دائمًا ما يستخدم "رولستون" مصطلح "موضوعى" ليشير إلى القيم التى توجد بشكل مستقل عن الإنسان والتى يجعل اكتشفها قائمًا على العلم والتجربة. فهو يرى بذلك أن الطريق الوحيد إلى موضوعية التصورات الأخلاقية لا بد أن يمر

بالضرورة عبر الواقع الفيزيقى مما يؤدى إلى ظهور مشكلة من حيث إنه:"يجعل الحلول الممكنة قاصرة على الحلول التى يمكن صياغتها داخل النظرية الممثلة لإدراك وهنا لن يفيد إلا الموضوعية الديكارتيةCartesian"[٢١٦]. بمعنى أن الموضوعية الديكارتية تشير إلى أن القيم ـ مثلاً ـ توجد هناك بشكل ما، علاوة على إنها كيانات مستقلة توجد بالفعل فى العالم ومستقلة عن الوعى البشرى، ولكن هذا يسبب مشكلة ما من حيث أنه يعتمد على النظرية التمثيلية للإدراك والتى تزعم أن الطريقة الوحيدة التى نتعرف من خلالها على الكيانات الخارجية هى إيجاد حالة عقلية تمثل الأشياء الموجودة هناك[٢١٧]. ذلك الصراع التقليدى بين المثالثة والواقيعة. ولعل المشكلة الناتجة عن ذلك هى أننا نستطيع الوصول مباشرة إلى تلك الحالات العقلية وليس الأشياء الخارجية نفسها وهذا يجعلنا غير قادرين على معرفة أى شىء عن هذه الأشياء الخارجية على الإطلاق حتى معرفة تلك القيم الموضوعية أو المستقلة.

(ثالثًا):أما فيما يتعلق بالتساؤل الثالث: هل استمر النزاع بين طرفى الثنائية السابقة إلى نهاية فلسفة "رولستون"أم أن هناك تفاعلاً بينهما؟، وكيف يمكن أن يحدث التفاعل بين الطبيعة والإنسان؟وما القيم الناتجة من ذلك التفاعل؟، وما مكانة الموجودات الأخرى فى منظومة القيم عند "رولستون"؟.

بالرغم من اعتراض البعض مثل "يوجين هارجروف (١٩٤٤م ـ) Eugene C. Hargrove " على الخلط حول مركزية الإنسان أو الطبيعة، حيث يرى أنه فى النهاية لا بد أن نعود إلى التمركز حول الإنسان فيقول: إنه إذا كان مقصدنا من عدم التمركز حول الإنسان يعد غير ملائمًا للقيمة الجوهرية فى

الطبيعة، حيث إذا كنا مقصدنا به الإشارة إلى القيمة المستقلة وغير المتمركزة حول الإنسان، فإن كل ما نقوله هو أن أى شىء مهما بلغت قيمته لا يستمد قيمته من الإنسان، ويصبح الإنسان بلا قيمة . وإذا كنا نقصد بأن كل التقييمات تتم بالضرورة من منظور إنسانى... إذن فإن التمييز بين التمركز الإنسانى وعدم التمركز حول الإنسان لا قيمة له[٢١٨].

لكننا نرى أن رؤية "رولستون" تتميز بالوسطية والاعتدال بين الإنسان والطبيعة، حيث حافظ على الحيوية البيولوجية للنظام الطبيعى، فضلاً عن سمو مكانة الإنسان ، فلقد وصف هذا النظام بأنه:"نظام حيوى وإنسانى على نحو متعالٍ. ولا يظهر هذا التفاعل إلا من خلال المواجهة بين ثقافة الإنسان و مع الطبيعة. ويمكننا الكشف عن ملامح هذا التفاعل فى الآتى:

١. تعد النظم الطبيعة منبعًا للقيم، فإذا جعلنا فعل التقييم خاصًا بالإنسان وثقافته دون غيره من الموجودات، فإنه لا يتم إلا بوجود شىء ذى قيمة بشكلٍ متأصل، وإلا ما استحق التقييم من الأساس.

٢. كما تعد الطبيعة أيضا موردًا لتهذيب الفضيلة الإنسانية، فضلاً عن تأثر الإنسان بالقيمة والجمال الكامنه فيها لذا لا يستطيع الاستغناء عنها.

٣. كما تتمتع النظم الطبيعية أيضا بالحيوية والنشاط مثلها مثل الكائنات الحية. ولكن يكمن الفارق بينهما فى أن نشاط الكائنات الحية وحيويتها دائمًا ما يتمثل فى الدفاع عن بقائها فقط،على النقيض من الطبيعة التى تسعى لزيادة الأنواع المختلفة وليس نوعها فقط مثل بعض

الكائنات الحية الفردية. فتظهر حيوية الطبيعة فى استمراريتها فى إنتاج صور مختلفة من الحياة، ثم تختار لها صفات مثل:الفردية والتنوع والكم والكيف. ولعل الطبيعة بهذا الشكل تمتلك قيمةً جوهريةً نظرًا لإنتاجها هذه الصور من الحياة، وبالتالى هى منتجة للقيم.

لذلك لم يستمر النزاع بين طرفى الثنائية طويلاً، وإنما تم التفاعل بينهما، فظهرت ثلاث قيم "كلية":

١. القيم الأداتية أو الوسيلية : فتعنى أن الشىء قد يكون وسيلة تؤدى إلى غاية ما، فالكائنات الحية دائمًا ما تسعى نحو البحث عن القيم الوسيلية.

٢. القيم الجوهرية: وتعنى أن الأشياء تكون قيمة فى حد ذاتها دون أن تُسند إلى أى شىء آخر، ولعل أبرز وجود لها يتمثل فى صراع الكائنات الحية من أجل البقاء، مما يعد البقاء غاية فى حد ذاته.

٣. القيم النسقية: وفيها لم نعد نتحدث عن قيم وسيلة يُبتغى من ورائها منفعة، ولا قيمة جوهرية يدافع عنها الكائنات الحية، وإنما نرتقى إلى مرتبة أعلى من القيم تجمع بين ما هو جوهرى ووسيلى ، بل تعد مصدرًا لهما، أى أنها تنتج هاتين القيمتين. لذلك يمكن القول إن القيم النسقية تمثل نوعًا من التكامل والاتساق داخل النظام الطبيعى للقيمتين السابقتين، أى أنها المسئولة عن إنتاج القيم ، لذا يتسم النظام الطبيعى بأنه نظام منتج وخصب.

لكن بالرغم من وجود التفاعل بين الطبيعة والانسان وظهور قيم كلية، إلا أن "رولستون" انتهج النهج المتحيز غير المحايد فى تصنيف الكائنات الأخرى التى توجد مع الإنسان فى الطبيعة، ووضعها فى مكانة أدنى منه، على النقيض من معظم فلاسفة البيئة،إلا أن "رولستون" كانت أفكاره بخصوص الحيوانات غير متسقة مع اتجاهات أغلب فلاسفة البيئة السابقين.وبالرغم من تنديده بإيذاء الحيوان ومعاملته بقسوة، إلا أنه كان يرفض المساواة بين الكائنات الحية فهو يسمح بأكل الحيوانات، وبصيدها فى ظل شروط النظام البيئى...الخ. والسبب فى دعمه تلك الممارسات أنها تأتى متسقة مع استخلاص القيم الموجودة فى الطبيعة، ومن ثم التفاعل بين الطبيعة والإنسان. لكننا نرى أن هذا الجانب هو أضعف جزء فى فلسفته البيئية نظرًا لتمتعه بكثير من التناقضات.

(رابعًا): أما فيما يتعلق بالتساؤل الرابع: كيف انعكست دراسته للاهوت وعمله قسًا بإحدى الكنائس على فلسفته الإيكولوجية؟بمعنى كيف استطاع تطويع فكرة"القداسة" فى فلسفته ؟ وما ملامحها؟.

يظهر السبب فى اتجاه "رولستون" نحو الاعتماد على الدين واللاهوت ومن ثم تطويع القداسة داخل فلسفته، أنه رأى أن الاعتماد على العلوم وحدها للكشف عن القيم غير كافٍ فهى لا تستطيع الإجابة عن كافة التساؤلات التى تدور فى خُلد الإنسان؟لذا رأى أن"**العلم وحده لا يولد القيمة**". فلم يستطع العلم وحده الكشف مثلاً عن السبب فى وجود ملايين من الأنواع تعيش مع الإنسان على كوكب الأرض، وما الحكمة من وراء وجودها.لذا بات ضروريًا الاعتماد على التبريرات الدينية من أجل تقديم رؤية كاملة للتساؤلات الجوهرية، وهذا ما

أخذه "رولستون" من دراسته اللاهوتيه. فقد مكنته دراسته من الربط بين القيم المستمدة من الطبيعة وعقيدته المسيحية. وبهذا يربط بين ثنائية:"ما هو طبيعى و"ما هو روحى".

فاستشعار الإنسان للمقدس داخل الطبيعة، يدفع الإنسان للمحافظة عليها ، نظرًا لوجود الشعور بالخشوع والرهبة من حضور المقدس. ولقد ظهرت ملامح القداسة البيئية عند رولستون فى الآتى :

١.القداسة فى المعاناة بوصفها سببًا لخصوبة الطبيعة(الخير الإلهى المقدس).

٢.القداسة فى العناية الإلهية؛ بوصفها حفاظًا على كل ما يوجد فى الطبيعة.

٣.قداسة "وحدة الوجود" (وحدة الوجود Pantheism).

لكننا نرى بالرغم من عظمة الفكرة فى المحافظة على الطبيعة، إلا أنها لا تناسب جميع الأفراد فليس جميع الأفراد بالقدر نفسه من التدين. فهناك من هو متدين بالفعل الذى قد يسير مع هذا الاتجاه ويوافق عليه ، إلا أن هناك من هو غير متدين وبعيد عن الدين، فكيف يتقبل هذه الفكرة.

الهوامش:

(*) لقد تم تقديم هذا المفهوم للمرة الأولى من خلال المؤرخ "وليام ليكى(١٨٣٨م - ١٩٠٣م) Lecky,william" وتحديدًا عام (١٨٦٠م) ثم أذاعه بعد ذلك "بيتر سنجر" عام (١٩٨٠م). وكان الغرض منه أن ليشمل جميع الفئات تم استبعادها من قبل فى فلسفة الأخلاق الكلاسيكية ، مثل الاهتمام بالبيئة والاهتمام بحقوق النساء وحقوق الحيوان ... الخ.

-(Cp; https://www.vox.com/future-perfect/2019/4/4/18285986/robot-animal-nature-expanding-moral-circle-peter-singer) تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٥/٢٩م

(**) فيلسوف أمريكى وعالم بيئى، كان أستاذًا جامعيًا بجامعة ويسكنسن. أُشتهر بكتابه:"مقاطعة رملية (١٩٤٩م)" كما اشتهر بأفكاره المتعلقة بأخلاقيات البيئة وحركة الحفاظ على البرية. كما شدد على التنوع الحيوى وعلوم البيئة، وكان مؤسسًا لعلم إدارة الحياة البرية.

-(Cp; https://www.aldoleopold.org/about/aldo-leopold/) تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٥/٢٩م.

(***) أمريكى الأصل ولد فى نوفمبر ١٩٣٢بولاية فرجينيا، كان دائم الزيارات الصيفية لمزارع الأباما حيث كان تسكن والدته ، تلك الزيارات التى زرعت بداخله فكرة استكشاف الغابات والمستنقعات الطبيعية، ترك أثره فى تشكيل اهتماماته البيئية. حصل على درجة الفيزياء والرياضيات عام (١٩٥٣م) من كلية ديفيدسونDavidson بولاية كارولينا الشمالية ، ثم حصل على بكالوريوس اللاهوت عام (١٩٥٦م) من مدرسة اتحاد اللاهوت بولاية فرجينيا، ثم أتبعه بالحصول على درجة الدكتوراه فى اللاهوت عام (١٩٥٨م) من جامعة أدنبره، ثم خدم كقس بإحدى كنائس أدنبره بولاية فرجينيا، حصل كذلك على درجة الماجستير فى العلوم عام(١٩٦٨م) من جامعة بينتسبرج بولاية بنسلفانيا . التحق بقسم الفلسفة بجامعة كلورادو حيث أصبح أستاذًا بالجامعة عام (١٩٩٢م).

لقد ذاع صيت "رولستون" فى الأوساط الإيكولوجية بعدما نشر أولى مقالاته بعنوان:"هل توجد أخلاق ايكولوجية Is There Ecological Ethics " عام (١٩٧٥م) حيث كان يتحدى من خلالها الرؤية القائلة بعدم وجود قيم فى الطبيعة، وأن القيم تنبع من منظور انسانى ، ذلك التحدى الذى كان يمثل نوعًا من الغرابه والدهشة لدى البعض . حصل على جائزة " تيمبلتون Templeton" عام (٢٠٠٣م) والتى منحها له الملك "فيليب" فى قصر

باكنجهام . لقب أيضا "رولستون" بلقب "أبو الأخلاق البيئية" نظرًا لأفكاره المختلفة عن الآخرين فضلاً، عن غزارة انتاجه لعل أبرزه الآتى:

- " الأخلاق البيئية Environmental Ethics"
- "الحفاظ على القيمة الطبيعية *Conserving Natural Value*"
- "العلم والدين : دراسة نقدية Science and Religion: A Critical Survey"

-(Cp, DARRELL J. TURNER: Holmes Rolston Ill,(In), Encyclopedia Britannica, Chicago, 2004,P.92).

-(Cp. https://sites.google.com/a/rams.colostate.edu/rolston-csu-website/) تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٥/٢٩م

(***) لا بد من التميز بين المصطلحين الآتيين: " البيئة Environment " و الإيكولوجية Echology" فكثيرًا ما يحدث الخلط بينهما:

– "البيئة" : الوسط المحيط بالإنسان بجميع المكونات الحية وغير الحية ، ويجب على الإنسان رعاية هذا الوسط والحفاظ عليه من المشاكل والأمراض. كما يشمل هذا الوسط أنظمة طبيعية مثل: الحيوانات والنباتات والمعالم الجغرافية والظواهر الطبيعية ... الخ.

– "الايكولوجية": هى علم البيئة الذى يدرس العلاقة بين الكائنات الحية وبين البيئة المحيطة بها، فضلاً عن دراسة طريقة تعايشها فى إطار الوسط الذى تعيش فيهوكيفية تغذيتها وتعاملها مع عناصره.

–(Cp; https://www.arabgeographers.net/vb/threads/arab23057)

تاريخ الدخول :٢٠٢٠/١٠/٢٩م

(١) بهاء درويش: تهافت ما بعد الاستعمارية ـ نحو مبادىء أخلاقية للتعامل مع المرأة والبيئة، (فى)محمود حيدر: نحن وأزمنة الاستعمار، ط١، ج١، مجلة الاستغراب، العتبة العباسية المقدسة،المركز الاسلامى للدراسات الاستراتجية، لبنان،٢٠١٨م ، ص ٣٠٤. (بتصرف).

(*) ومن بين أنواع التلوث والأضرار الناتجة عن عصر التصنيع ، تلوث المياه وتلوث التربة وتلوث الهواء...الخ نتيجة انبعاث الغازات والأبخره والعوادم الفاسدة التى تطلقها مداخن هذه المصانع وخاصة تلك التى تعتمد على حرق الفحم والوقود ...الخ ، مما ينعكس بالسلب على صحة الإنسان والحيوانات والنباتات .

(٢) جان مارى بيلت: عودة الوفاق بين الانسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، العدد:١٨٩، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٩٤م، ص ١٣. (بتصرف).

(٣) وجدى خير نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة ـأخلاق المسؤلية "هانز يوناس، ط١، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٩م، ١٧ ـ ١٨(بتصرف).

(4) Roderick Frazier Nash: Wilderness and the American mind, 5ed, Yale university press, U.S.a,2014,P.24.

(٥) أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة: أميرة حلمى مطر،دار غريب ، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ٣٨-٣٩.

(٦) أرسطو طاليس: السياسة ، ترجمة: أحمد لطفى السيد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٠م،ص ١١٦.

(*) فيلسوف أمريكى، أُشتهر بكتابه:"احترام الطبيعة: نظرية فى أخلاقيات البيئة Respect of Nature:A Theory of Ethics Environment" (١٩٨٦م)، والذى يدعم فيه التمركز الحيوى Biocentric أى يعطى الأولوية لكافة الأفراد التى توجد فى الطبيعة بشكل متساوٍ وليس للإنسان فقط. فكل ما يوجد فى الطبيعة بمثابة نوع من أنواع القرابة Friendship بالنسبة لإنسان.

-(Cp; William Forbes: Paul W. Taylor,(In),https://www.britannica.com/biography/Paul-W-Taylor) تاريخ الدخول ١٤/٥/٢٠٢٠م.

(7) Paul W. Taylor : Respect for Nature- A theory of Environmental Ethics, Princeton University Press,2011,P.135.

(*) سلسلة الوجود العظمى: وهو مفهوم يدور حول طبيعة الكون من خلال توافر سمات أساسية فيه : الوفرة والاستمرارية والتدرج، كما أن الكون يتكون من سلسلة لا حصر لها من الأشكال الكل يتشارك فيها وفقًا لتسلسل هرمى معين، حيث تتراوح هذه السلسلة فى ترتيب هرمى من نوع الوجود الأصغر إلى الكمال المثالى أو الإلهى.

-(Cp; https://www.britannica.com/topic/Great-Chain-of-Being) تاريخ الدخول ١٤/٥/٢٠٢٠م.

(٨)وجدى خيرى نسيم: أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة،مجلة التفاهم ، العد:٦٣، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،عمان،٢٠١٩م،ص ص ١٩٨-١٩٩.

(9)J Baird Callicott: Traditional American Indian and Western European Attitudes Toward. Nature,(In), Robert Elliot and arran gare(eds): Environmental Philosophy- A Collection of Reading, University of Queensland Press,St Lucia,Queensland,U.S.A,1983,Pp.235-236.

(10) Gunter, Pete: The Big Thicket – Case Study in Attitudes Toward Environment,(In), William Blackstone: Philosophy and the environmental Crisis, University of Georgia Press, U.S.A,1974, 130.

(*)أستاذ الفلسفة بمعهد جورجيا للتكنولوجيا، له كتابات عديده فى نظرية العدالة بين الأجيال والتنمية المستدامة، وسياسة التنوع البيولوجى ومناهج التقييم المختلفة. كما أنه عضو فى هيئات تحرير الأخلاقيات والقيم البيئية. من أهم مؤلفاته:"نحو الوحدة بين علماء البيئةToward Unity Among Environmentalists(١٩٩١م)".

تاريخ https://islandpress.org/author/bryan-g-norton -(Cp; (الدخول٢٠٢٠/٤/١٢م

(11) Bryan G.Norton: Epistemology and Environment Value, Oxford University Press The Monist, Vol. 75, No. 2, The Intrinsic Value of Nature (APRIL 1992),P.208.

(١٢) ديكارت: مقال فى المنهج ـ لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم، ترجمة:محمود محمد الخضيرى، تصدير:زينب محمود الخضيرى، المكتب المصرى للطباعة، القاهرة ، ١٩٣٠م،ص ٩٥.

(١٣) وجدى خيرى نسيم : الفلسفة وقضايا البيئة ـ أخلاق المسؤوليةة "هانز يوناس" نموذجًا، ص ٨٢.

(١٤)مجموعة من المؤلفين: مستقبلنا المشترك، ترجمة: محمد كامل عارف، مراجعة:على حسين حجاج، سلسلة عالم المعرفة،العدد١٤٢،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت، ١٩٨٩م،ص٥٣.(بتصرف)

(*) قد ظهرت بداية بزوغ هذا الوعى عندما عقدت الأمم المتحدة أول مؤتمر للبيئة فى ستوكهولم ١٩٧٢م، مما أسفر عن تأسيس الجمعية العامة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة فى ديسمبر من العام نفسه، ثم تلتها عديد من المؤتمرات تدور حول التنمية المستدامة.

ـ(انظر؛ بهاء درويش: تهافت ما بعد الاستعمارية ،ص ص ٣٠٤-٣٠٥).

(15)Roderick Frazier Nash: Wilderness and the American mind,P.112

(16)Ibid,Pp.144-146.

(17)John Rodman: Four Forms of Ecological Consciousness Reconsidered,(In),Tomas Attig and Donald Scherer (eds): Ethics and Environment,Englewood Cliffs, Prentice-Hall,1983,P.83.

(18)Ibid,P.82.

(**) فيلسوف نمساوى: كان رائدًا فى مجال الفلسفة التطبيقية، حيث يتم تطبيق المفهوم الفلسفى على الأمور العلمية، مثل أخلاقيات الطب والبيئة. من أهم مؤلفاته:"مسئولية الإنسان تجاه الطبيعة (١٩٧٤م)Man's Responsibility for Nature .

-(Cp; https://www.britannica.com/biography/John-Arthur-Passmore تاريخ الدخول١٢/٤/٢٠٢٠م)

(19)John Passmore: Man's Responsibility for Nature- Ecological Problems and Western Traditions,Charles Scribner's Sons,New York,1974,P.178

(*)يعد من أبرز أعضاء الواقعية الأمريكية الجديدة، بما قدمه من كتابات في الفلسفة الواقعية، وفي الفلسفة الاجتماعية وفلسفة الحضارة التي طابق بينها وبين آفاق القيم، وهو في كل هذه المجالات من أهم نقاد الفلسفة المثالية، ومكانته في الفكر الأمريكي لا تتكر خاصة بالنظر إلي إسهاماته في القيم. وله عديد من المؤلفات منها "آفاق القيم" Realms of values، والنظرية العامة في القيمة General theory of value .

-(انظر؛ أحمد عبد الحليم عطية : القيم في فلسفة رالف بارتون بيري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ص ١٠ –١٢).

(20)Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,(In),Anna- Teresa Tymieniecka and Patricia Trutty-Coohill(eds): The Cosms and the Creative Imagination, Springer International Publishing Switzerland,2016,P.291.

(21)Ibid.

(22)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild, Buffalo, Prometheus Books, New York,1986,P.91.

(23)Rolston III,Holmes: Technology and /or Nature, Ethics and Environment, Indiana University Press, Vol.22, No.1,2017,P.60.

(24)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,Pp.114-115.

(٢٥) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية ـ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٣٢،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت، ٢٠٠٦م،ص١٧٧.

(٢٦) وجدى خيرى نسيم: مفهوم المركزية الحيويه، ص ٢١١.

(27)Paul W. Taylor : The Ethics of Respect for Nature,(In),Environmental Ethics,Vol.3,Issue3,1981,P.207.

(*) هو فيلسوف وكاتب فرنسى وهو من مؤيدي الحصول على المعرفة ، تتميز أعماله بمناقشة موضوعات مثل: الموت والملائكة والزمان.

تاريخ (Cp; https://en.wikipedia.org/wiki/Michel_Serres#Publications) الدخول ١٥/٥/٢٠٢٠م

(28)Michel Serres:The Nature Contract, Translated by: Elizabeth Macartur, William Paulson, Ann Arbor, The University Michigan,1988,Pp,33-34.

نقلاً عن : وجدى خيرى نسيم : مفهوم المركزية الحيوية، ص٢١٢.

(29)Edwin Way Teale :The Wilderness World of John Mir,Houghton Combany ,Boston, U.S.A, 1954,P.311

(30)Eugene Hargrove: Foundations of Environmental Ethics,Cliffs,NJ,Prentice-Hall, Englewood,1989,P.87.

(31)John Rodman: Four Forms of Ecological Consciousness Reconsidered,P.86.

(32)Eugene Hargrove: Foundations of Environmental Ethics,P.86.

(33)Edwin Way Teale :The Wilderness World of John Mir,P.315.

(*) عالم التاريخ الطبيعى الأمريكى، وأحد أوائل المناصرين بصرورة الحفاظ على الطبيعة ساعد نشاطه في الحفاظ على وادي يوسميتي، ومتنزه سيكويا الوطني وغير ذلك من المناطق البرية.

تاريخ الدخول (Cp; https://en.wikipedia.org/wiki/John_Muir#Books) ١٥/٥/٢٠٢٠م

(34)John Muir: a Thousand Mile Walk to the Gulf, ,Houghton Combany ,Boston, U.S.A,1916,Pp.98-99.

(35)Edwin way teale :The Wilderness World of John Mir,P.317.

(36)Rolston III,Holmes: The Wilderness Idea Reaffirmed, The Environmental Professional, Vol.13,U.S.A,1991,P.377.

(37)Ibid,P.377.

(*) المقصود بثقافة الإنسان: العادات والتقاليد الخاصة بالإنسان وحده دون غيره ، والتى تُحتم عليه التعامل مع الطبيعة بشكلٍ معين وفقا احتياجاتهـ.

(**)فيلسوف أمريكى متخصص فى مجال أخلاقيات البيئة. من أهم أعماله:" فى الدفاع عن أخلاق الأرض"(١٩٨٩م)،"فلسفة البيئة:مفاهيم نقدية فى البيئة والاقتصاد والسياسية"(٢٠٠٥م).

https://en.wikipedia.org/wiki/J._Baird_Callicott#Selected_publications) تاريخ الدخول ١٥/٥/٢٠٢٠)-

(38)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value, Columbia University Press, New York,1994,P.5.

(39)Rolston III,Holmes: The Wilderness Idea Reaffirmed, P.371.

(40)Ibid,P.371.

(41)Ibid,P.371.

(42)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, Temple University Press, Philadelphia, U.S.a,1988,P.234.

(43)Ibid,P.112.

(44)Rolston III,Holmes: Philosopher Gone Wild, (IN), David D. Karnos & Robert G. Shoemaker, (eds): Falling in Love with Wisdom: American Philosophers Talk About Their Calling,Oxford University Press, New York , 1993,P.187.

(45)Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III, ,P.292.

(*) فيلسوف استرالى ، منطقى فضلاً عن كونه متخصصًا فى الأخلاق البيئية العميقة ، دافع عن القيم الجوهرية للعالم الطبيعى غير البشرى. من أهم مؤلفاته: "هل هناك حاجة لبيئة جديدة وأخلاقية؟ Is There a Need For a New, an Environmental, Ethic?"١٩٧٣م.

تاريخ (Cp;https://plato.stanford.edu/entries/sylvan-routley/)

الدخول:١٧/٥/٢٠٢٠

(46) Richard Sylvan: Is There a Need for a New, an Environmental Ethic?, Proceedings of the X11 World Congress of Philosophy, No. 1. Varna, Bulgaria, 1973, pp. 205-210.

(47)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, ,P.335.

(٤٨) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية ـ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية،ص ص ١٦٠ ، ١٧٤، ١٧٥ (بتصرف).

(49)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World ,P.188.

(*)النوع هو مجموعة من الأفراد المتشابهة التى تنحدر من آباء تشبهها، والنوع لا ينتج من نوع آخر. كما يعد النوع وحدة طبيعية تتألف من مجموعة من الأفراد تتشابه فى الصفات الرئيسة ولكنها تختلف فى بعض الصفات الثانوية، ولا بد من أن تكون أفراد النوع الواحد ثابتة فى صفاتها الأساسية إلى حد ما، وأن يكون بإمكانها التزاوج فيما بينها لتنجب أجيالاً جديدة، وذلك من أجل بقاء النوع، وهى لا تتزاوج من أفراد نوع آخر، وإن تزاوجت يكون الناتج أفرادًا عقيمة. (انظر؛ رشيد الحمد، محمد سعيد صبارينى: البيئة ومشكلاتها،العدد :٢٢، عالم المعرفة ،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت،١٩٧٩ ، ص ص ٥٥-٥٦).

(50)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World ,P.187.

(51)Rolston III,Holmes: Does Nature have Intrinsic Value ? Biocentric and Ecocentric Ethics and Deep Ecology,(in), Louis Pojman (ed): Environmental Ethics – Reading in Theory and Application, 2nd, Wadsworth Publishing Company, Toronto, 1998,P.80.

(52)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, ,Pp,186-187.

(53)Rolston III,Holmes: Naturalizing Value :Organism and Species,(in), Louis Pojman (ed): Environmental Ethics – Reading in Theory and Application, 7nd, Cengage Learning, U.S.A,2015,P.130.

(54)Ibid,P.131.

(55)Ibid,Pp,131-136.

(56)Ibid,P.132.

(57)Ibid,P.136.

(58)Ibid,P.137.

(59)Ibid,P.137.

(60)Rolston III,Holmes: Does Nature have Intrinsic Value ?,P.77.

(61)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.104

(62)Ibid,P.106.

(63)Ibid,P.111.

(64)Ibid,P.20.

(65)Rolston III,Holmes: Does Nature have Intrinsic Value ?,P.76.

(66)Rolston III,Holmes: Naturalizing Value :Organism and Species, P.130.

(*)" موضوعي Objective ما يختص بموضوع ما أو يتحدد به. وعندما يُطبق هذا المفهوم علي الموضوعات الواقعية، فإنه يعني أن الموضوعات وصفاتها وعلاقاتها موجودة خارج الإنسان ومستقلة عنه. وإذا طبق علي الأفكار أو المفاهيم أو الأحكام ، فانه يشير إلي مصدر معرفتنا. .

-(انظر في ذلك ؛ رونتال ويودين: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم و جورج طرابيشي، ط٦، مادة: الميم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٥١٠).

(67)Katie McShane: Rolston's Theory of Value,(In) Christopher J. Preston,(eds): NATURE,VALUE, DUTY LIFE ON EARTH WITH HOLMES ROLSTON, III, Springer,2007,P.2.

(68)Risieri frondizi, What Is Value? An Introduction to Axiology, Illinois: Open Court Publishing Company, La Salle, U.s.a 1971, P. 20.

(69)Ibid, p.123.

(70) Ibid, p. 125.

(71) Rolston III,Holmes: Are Values in Nature Subjective or Objective?, Environmental Ethics,Vol. 4(1982),P.125.

(72)Rolston III,Holmes: Does Nature have Intrinsic Value ?,P.73.

(٧٣)عزمى اسلام ، جون لوك،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ م، ص ص ٥٦–٥٧.

(74)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,Pp,92-93.

(75)Alexander, Samuel: Space, Time and Deity, Macmillan Company, London, 1920, P.302.

(76)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.3.

(77) Ibid, Pp,3-4.

(78) Ibid, P.4.

(٧٩) رشيد الحمد ، محمد سعيد صبارينى: البيئة ومشكلاتها، ص ٢٣٢.

(80)Rolston III,Holmes: feeding versus saving nature,(In), William Aiken and Hugh LaFollette(eds): World Hunger and Morality, 2 nd ed. Englewood Cliffs; NJ: Prentice-Hall, 1996,P.260.

(٨١) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية ،ص١٧٧.

(82)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value,P.143.

(83)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.7.

(84) Ibid, P.7.

(85) Ibid, P.9.

(86) Ibid.

(87) Ibid, P.10.

(*) حديقة كانون لاندر الوطنية: حديثة وطنية فى الولايات المتحدة فى منطقة أريزونا تحوى مظاهر متنوعة للطبيعة الساحرة مثل: أشجار الصنوبر والأخاديد التى توجد فى الصخور والتى تعد موطنًا للحيونات فضلا عن الأضواء الجميلة التى تضىء المنحدرات بالألوان الأحمر والوردى والبرتقالى. أما تمثال النصر المجنح فى سامو تراس: عبارة عن تحفة فنية تجسد آلهة النصر عن اليونان ، وموجود الآن بمتحف اللوفر بفرنسا.

تاريخ الدخول١٥/٧/٢٠٢٠م(Cp;https://www.almrsal.com/post/498918)

-(Cp; http://hindart3.blogspot.com/2011/07/winged-victory-statue.html) تاريخ الدخول ١٥/٧/٢٠٢٠م

(88) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World,P.10.

(89) Ibid.

(90) Ibid, P.12.

(91)John Passmore: Man's Responsibility for Nature,P.102.

(92)william Godfrey-Smith: The Value of Wilderness, Environmental Ethics, Vol.1, No.4,1979,P.312.

(93)Rolston III,Holmes: Ecosystems, Food, Agriculture, and Ethics,(in),Paul Thompson and David Kaplan (eds): Encyclopedia of Food and Agricultural Ethics, Springer Science+Business, Netherlands,2014,P.547.

(٩٤) سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت،١٩٨٤، ص ١٨.

(95)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.14.

(96)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.67.

(97) Ibid, P.15.

(98) Ibid, P.16.

(99) Ibid, P.15.

(100)Rolston III,Holmes: DOES AESTHETIC APPRECIATION OF LANDSCAPES NEED TO BE SCIENCE-BASED?, British Journal of Aesthetics, Vol. 35, No. 4, October,1995,P.383.

(101)Rolston III,Holmes: DISVALUES IN NATURE, The Monist: An International Quarterly Journal of General Philosophical Inquiry, 75(no. 2,1992),P.268.

(102)Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.145.

(103) Ibid, P.151.

(104)Rolston III,Holmes: Duties to Endangered Species, *BioScience*, Vol. 35, No. 11, The Biological Diversity Crisis (Dec., 1985),P.718.

(105) Ibid, P.723.

(106) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.135.

(107) Ibid, P.157.

(١٠٨) جيمس تريفل: هلال نحن بلا نظير، ترجمة: ليلى الموسوى ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٢٣، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت،٢٠٠٦م ، ص ٦ .

(١٠٩) وجدى خير نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(110) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.71.

(111) Ibid, P.73.

(112) Ibid, P.26.

(١١٣) وجدى خير نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة، ص ٢٠٤.

(114) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.339.

(115)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.140.

(116) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.162.

(117) Ibid, P.72.

(118) Ibid, P.68.

(119) Ibid, P.187.

(120)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.141.

(121) Ibid, P.141.

(122) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.72.

(123)Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.292.

(124) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.120.

(125) Ibid, P.68.

(126) Ibid, P.187.

)*("The system is bio-systemic and anthropo-apical".

(127) Ibid, P.73.

(١٢٨) وجدى خير نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة ، ص ص ٩٦-٩٧. (بتصرف).

(١٢٩) المرجع نفسه : ص ٩٨.

(130) Arnold Berleant: The Aesthetics of Environment, Temple University Press , Philadelphia, 1992, P.135.

"(*) باحث ومؤلف أمريكى مهتم بالفلسفة والموسيقى ، شغل منصب أستاذ الفلسفة بجامعة "لونج أيلاندLong Island "له عديد من الكتابات فى مجال الفلسفة والجمال والبيئة والأخلاق لعل أبرزها:" استطتيقا البيئيةThe Aesthetics of Environment ".

تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٥/٢٢(Cp; https://arnoldberleant.com/)-

(131)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value,P.165.

(132)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.124.

(133) Ibid, Pp.43-44.

(134) Ibid,P,95.

(135)Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.293.

(136)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.25.

(137)Rolston III,Holmes: Dis Values in Nature, The Monist,Vol. 75,no. 2, 1992,P.275.

(138) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.241.

(١٣٩) سورة البقرة : الآية ٦٠؟

(١٤٠) رشيد الحمد ، محمد سعيد صبارينى: البيئة ومشكلاتها، ص ٢٦.

(141)Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.294.

(142) Ibid.

(143)Rolston III,Holmes:Duties to Ecosystems,(In); Callicott,J.Baird (ed): Companion to A sand County Almanc, University of Wisconsion Press, Madison,1987,P.267.

(144)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.96.

(145) Ibid,P.107.

(146) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.58.

(147) Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P,101.

(١٤٨) رشيد الحمد ، محمد سعيد صبارينى: البيئة ومشكلاتها، ص ٢٦.

(149) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.24.
(Cp; Rolston III,Holmes: Engineers, Butterfiles,Worldviews, The Environmental Professional, Vol.9,1987,P.295.)

(150) Ibid,P.73.

(151)Leszek Pyra: The Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.293.

(152) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, Pp,186-187.

(153) Ibid, P,186.

(154) Rolston III,Holmes: on behalf of bioexuberabce. Garden,1987,P.3.

(155) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.222.

(156) Ibid,P.187.

(157) Ibid,P.97.

(158)Leszek Pyra: The Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.292.

(159)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value,P.174.

(160)Rolston III,Holmes:Duties to Ecosystems,P.270.

(161)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value,P.176.

(162) Rolston III,Holmes: Loving Nature- Christian Environmental Ethics, Love and Christian Ethics: Tradition, Theory, and Society, ed. Frederick V. Simmonswith Brian C. Sorrells. Washington: Georgetown University Press,No.18, 2016,P.329.

(163) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.16.

(164)Leszek Pyra: The Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,P.292.

(١٦٥) بيتر سنجر : كل الحيوانات متساوية ، (فى) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية ،ص ٥٩.

(166)Peter Singer: Animal Liberation, Library of Congress, New York, 2002,Pp,3-4.

(١٦٧) وجدى خيرى نسيم: مفهوم المركزية الحيويه، ص ٢١٢.

(168) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.120.

(169)Rolston III,Holmes: Treating Animals Naturally? Between the Species, Journal Of Ethics,Vol.5,No.3., 1989,P.131.

(170) Ibid,P.131.

(*) نرى أن أفكار "رولستون" عن الحيوانات دائما ما تمتاز بالمفارقة فتارة يؤيد حقوق الحيوانات وحرياته ، وتارة أخرى يؤيد استغلال الحيوانات من أجل المنفعة . مما يوحى بأن نظرته لا تخلو من الأنانية والذاتية ، فالكون لم يخلق للإنسان وحده .

(١٧١) وجدى خيرى نسيم: مفهوم المركزية الحيويه، ص ٢١٣.

(172) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.120.

(173)Rolston III,Holmes: Treating Animals Naturally?,P.132.

(174) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.85.

(175)Rolston III,Holmes: Treating Animals Naturally?,P.136.

(176) Ibid,P.135.

(177) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.60.

(178) Httinger, Ned: Valuing Predation in Rolston's Environmental Ethics, Bambi Lovers Versus Tree Huggers, Environmental Ethics,1994,P.8.

(179) Ibid,Pp.19-20.

(180) Rolston III,Holmes: Can and Ought We To Follow Nature, Environmental, Vol.1,No.1,1979,P.28.

(١٨١) ناهد البقصمى: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة،العدد١٧٤،المجلس الوطنى للثقافة ، الكويت، ١٩٩٣م،ص ص ٩٤ –٩٥ .

(١٨٢) المرجع السابق : ص ١٠٥ (بتصرف).

(١٨٣) المرجع السابق : ص ١٢٤ (بتصرف).

(١٨٤) وجدى خيرى نسيم : الفلسفة وقضايا البيئة ـ أخلاق المسؤلية "هانز يوناس" نموذجًا، ص ٦٠.

(١٨٥) المرجع السابق : ص ٦١ (بتصرف).

(186) DARRELL J. TURNER: Holmes Rolston Ill,P.92.

(187) Rolston III,Holmes: Science and Religion- A Critical Survey, Random House, New York, 1987, P.343.

(188)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.180.

(189) Rolston III,Holmes: Science and Religion, P.V.

(190) Ibid,P.300.

(191) Ibid, P.306.

(192) Ibid,P.307.

(193) Rolston III,Holmes: CARING FOR NATURE: FROM FACT TO VALUE, FROM RESPECT TO REVERENCE, Zygon,Vol.39,No.2,2004,P.293.

(194) Kentner,D and Haidt,J: Approaching Awe, A moral, Spiritual, and aesthetic emotion, Cognition and Emotion, Vol.17,No.2,2003,P.311.

(195) Ibid,P.310.

(196)Rolston III,Holmes: The Human Standing in Nature-Storied Fitness in the Moral Overseer,(In), Wayne Summer, Don Callen(eds): Values and Moral Standing,Bowling green Studies in Applied Philosophy, Ohio,1986,P.100.

(197)Rolston III,Holmes:Genes,Genesis,and God in Nature and Human History, Center for Theology and Natural Sciences Bulletin,1981,P.21.

(198)Rolston III,Holmes:Does Nature Need To Be Redeemed?, Zygon,Vol.29,No.2,1994,P.213.

(199) Ibid,P.218.

(200)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.261.

(201) Rolston III,Holmes: Science and Religion, Pp.289-291.

(202)Rolston III,Holmes:Does Nature Need To Be Redeemed?,P.210.

(203) Ibid,P.226.

(204)Rolston III,Holmes: Conserving Natural Value,P.166.

(205)Rolston III,Holmes: Philosophy Gone Wild,P.141.

(206)Rolston III,Holmes:Does Nature Need To Be Redeemed?,P.222.

(207) Ibid,Pp.225-227.

)*("A great while before day, he rose and went out to a lonely place, and there he prayed" (Mark1.35)

(208) Rolston III,Holmes,(In), http://www.environmentandsociety.org/exhibitions/wilderness/midbar-arabah-and-eremos-biblical-wilderness.

(209) Rolston III,Holmes: Science and Religion, P.305.

(210)Rolston III,Holmes:Does Nature Need To Be Redeemed?,P.220.

(211) Ibid,P.220.

(212) Ibid,P.222.

(٢١٣) وجدى خيرى نسيم : الفلسفة وقضايا البيئة ـ أخلاق المسؤلية "هانز يوناس" نموذجًا، ص ٤٢.

(٢١٤)رشيد الحمد، محمد سعيد صابرينى، البيئة ومشكلاتها، ص ٢٤.

(215) Rolston III,Holmes: Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, P.85.

"(*) يمكن تحديد المقصود بالمغالطة الطبيعية ـ بصفة عامة ـ من خلال إمكانية تعريف خاصية "الخير" بخاصية من الخصائص الداخلة فى نطاق الطبيعة ، كالقول مثلاً: إن الخير يعبر عما هو سار Pleasant أو ما هو مرغوب فيه Desired . فالقول إن أيًا من

هاتين الصفتين تُعرف الخير يشير إلى الوقوع فى هذه المغالطة ، ذلك أن هاتين الصفتين موجودتان فى "الزمكان"، ومن ثم فإنها داخلة فى نطاق الطبيعة، فى حين أن الخير غير الطبيعى لا يندرج تحت فئة الموضوعات أو الصفات التى تدخل ضمن موضوع دراسة العلوم الطبيعية أو التجريبية، ومن ثم فإن كل من يقول:إن الخير هو اللذة أو السرور، فإنما يعرف الخير بلغة الموضوع الطبيعى. وهذا ما اعترض عليه "جورج ادورد مور " لأنه كان مؤمنًا بصعوبة تفسير ما هو غير طبيعى بما هو طبيعى، واتخذ من "التحليل" منهجًا أصيلاً لفلسفته الأخلاقية. ذلك المنهج الذى عانى علم الأخلاق من تجاهله فى الماضى - فى رأى "مور"- مما أدى بفلاسفة الأخلاق إلى الاختلاف حول أبسط الأمور الأخلاقية.

-(انظر زكريا ابراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر، القاهرة ، ١٩٦٨م، ص ٢١١).

-(Cp; Moore: Principia Ethica, Cambridge University Press,1903,P.5).

(216) Nortn ,Bryan: Epistemology and Environmental Values,The monist,75,1992,P.216.

(217) Ibid,Pp.214-216.

(218) Eugene Hargrove:Weak Anthropocentric Intrinic Value, The Monist,75,1992,P.202.

قائمة المصادر والمراجع

(أولاً): المصادر الأصلية لـ "هولمز رولستون " :

1. Rolston III,Holmes: Are Values in Nature Subjective or Objective?, Environmental Ethics,Vol. 4,(1982).
2. ---------- : Can and Ought We To Follow Nature, Environmental, Vol.1,No.1,1979.
3. ---------- : CARING FOR NATURE: FROM FACT TO VALUE, FROM RESPECT TO REVERENCE, Zygon,Vol.39,No.2,2004..
4. ---------- : Conserving Natural Value, Columbia University Press, New York,1994.
5. ---------- : DISVALUES IN NATURE, The Monist: An International Quarterly Journal of General Philosophical Inquiry, 75(no. 2,(1992).
6. ---------- : DOES AESTHETIC APPRECIATION OF LANDSCAPES NEED TO BE SCIENCE-BASED?, British Journal of Aesthetics, Vol. 35, No. 4, October,1995.
7. ---------- : Does Nature have Intrinsic Value ? Biocentric and Ecocentric Ethics and Deep Ecology,(in), Louis Pojman (ed): Environmental Ethics – Reading in Theory and Application, 2nd, Wadsworth Publishing Company, Toronto, 1998.
8. ---------- :Does Nature Need To Be Redeemed?, Zygon,Vol.29,No.2,1994.
9. ---------- :Duties to Ecosystems,(In); Callicott,J.Baird (ed): Companion to A sand County Almanc, University of Wisconsion Press, Madison,1987.
10. ---------- : Duties to Endangered Species, *BioScience*, Vol. 35, No. 11, The Biological Diversity Crisis (Dec., 1985).
11. ---------- : Ecosystems, Food, Agriculture, and Ethics,(in),Paul Thompson and David Kaplan (eds): Encyclopedia of Food and Agricultural Ethics, Springer Science+Business, Netherlands,2014.

12. ---------- : Engineers, Butterfiles,Worldviews, The Environmental Professional, Vol.9,1987.

13. ---------- : Environmental Ethics-Duties to and Values In Natural World, Temple University Press, Philadelphia, U.S.a,1988.

14. ---------- : feeding versus saving nature,(In), William Aiken and Hugh LaFollette(eds): World Hunger and Morality, 2 nd ed. Englewood Cliffs; NJ: Prentice-Hall, 1996.

15. ---------- :Genes,Genesis,and God in Nature and Human History, Center for Theology and Natural Sciences Bulletin,1981.

16. Rolston III,Holmes: Loving Nature- Christian Environmental Ethics, Love and Christian Ethics: Tradition, Theory, and Society, ed. Frederick V. Simmonswith Brian C. Sorrells. Washington: Georgetown University Press,No.18, 2016.

17. ---------- : Naturalizing Value :Organism and Species,(in), Louis Pojman (ed): Environmental Ethics – Reading in Theory and Application, 7nd, Cengage Learning, U.S.A,2015.

18. ---------- : on behalf of bioexuberabce. Garden,U.S.A,1987.

19. ---------- : Philosopher Gone Wild, (IN), David D. Karnos & Robert G. Shoemaker, (eds): Falling in Love with Wisdom: American Philosophers Talk About Their Calling,Oxford University Press, New York , 1993.

20. ---------- : Philosophy Gone Wild, Buffalo, Prometheus Books, New York,1986.

21. ---------- : Science and Religion- A Critical Survey, Random House, New York, 1987.

22. ---------- : The Human Standing in Nature-Storied Fitness in the Moral Overseer,(In), Wayne Summer, Don Callen(eds): Values and Moral Standing,Bowling green Studies in Applied Philosophy, Ohio,1986.

23. ---------- : The Wilderness Idea Reaffirmed, The Environmental Professional, Vol.13,U.S.A,1991.

24. ---------- : Technology and /or Nature, Ethics and Environment, Indiana University Press, Vol.22, No.1,2017.

25. ---------- : Treating Animals Naturally? Between the Species, Journal Of Ethics,Vol.5,No.3., 1989.

(ثانيًا): مراجع أجنبية:

1. Alexander, Samuel: Space, Time and Deity, Macmillan Company, London, 1920.

2. Arnold Berleant: The Aesthetics of Environment, Temple University Press , Philadelphia, 1992.

3. Bryan G.Norton: Epistemology and Environment Value, Oxford University Press The Monist, Vol. 75, No. 2, The Intrinsic Value of Nature (APRIL 1992).

4. DARRELL J. TURNER: Holmes Rolston Ill,(In), Encyclopedia Britannica, Chicago, 2004.

5. Edwin way teale :The Wilderness World of John Mir,Houghton Combany ,Boston, U.S.A, 1954.

6. Eugene Hargrove: Foundations of Environmental Ethics,Cliffs,NJ,Prentice-Hall, Englewood,1989.

7. ---------- :Weak Anthropocentric Intrinic Value, The Monist,75,1992

8. Gunter, Pete: The Big Thicket – case study in attitudes toward environment,(In), William blackstone: Philosophy and the environmental Crisis, University of Georgia Press, U.S.A,1974.

9. Httinger, Ned: Valuing Predation in Rolston's Environmental Ethics, Bambi Lovers Versus Tree Huggers, Environmental Ethics,1994.

10. J Baird Callicott: Traditional American Indian and Western European Attitudes Toward. Nature,(In), Robert Elliot and arran gare(eds): Environmental Philosophy- A Collection of Reading, University of Queensland Press,St Lucia,Queensland,U.S.A,1983.

11. John Muir: a thousand mile walk to the gulf, ,Houghton Combany ,Boston, U.S.A,1916.

12. John Passmore: Man's Responsibility for Nature- Ecological Problems and Western Traditions,Charles Scribner's Sons,New York,1974.

13. John Rodman: Four Forms of Ecological Consciousness Reconsidered,(In),Tomas Attig and Donald Scherer (eds): Ethics and Environment,Englewood Cliffs, Prentice-Hall,1983.

14. Kentner,D and Haidt,J: Approaching Awe, A moral, Spiritual, and aesthetic emotion, Cognition and Emotion, Vol.17,No.2,2003.

15. Katie McShane: Rolston's Theory of Value,(In) Christopher J. Preston,(eds): NATURE,VALUE, DUTY LIFE ON EARTH WITH HOLMES ROLSTON, III, Springer,2007

16. Leszek Pyra: Tha Naturalistic Axiology of Holmes Rolston III,(In),Anna- Teresa Tymieniecka and patricia Trutty-Coohill(eds): The Cosms and the Creative Imagination, Springer International Publishing Switzerland,2016.

17. Moore: Principia Ethica, Cambridge University Press,1903.

18. Michel Serres:The Nature Contract, Translated by: Elizabeth Mac artur, William Paulson, Ann Arbor, The University Michigan,1988.

19. Paul W. Taylor : The ethics of Respect for Nature,(In),Environmental Ethics,Vol.3,Issue3,1981.

20. ---------- : Respect for nature- A theory of Environmental Ethics, Princeton University Press,2011.

21. Richard Sylvan: Is There a Need for a New, an Environmental Ethic?, Proceedings of the X11 World Congress of Philosophy, No. 1. Varna, Bulgaria, 1973.

22. Risieri frondizi, What Is Value? An Introduction to Axiology, Illinois: Open Court Publishing Company, La Salle, U.s.a 1971.

23. Roderick Frazier Nash: Wilderness and the American mind, 5ed, Yale university press, U.S.a,2014.

24. william Godfrey-Smith: The Value of Wilderness, Environmental Ethics, Vol.1, No.4,1979.

(ثالثًا): مصادر أجنبية مترجمة لأشهر الفلاسفة:

١. أرسطو طاليس: السياسة، ترجمة: أحمد لطفى السيد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

٢. أفلاطون : محاورة فايدروس ، ترجمة: أميرة حلمى مطر،دار غريب ، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣. جان مارى بيلت: عودة الوفاق بين الانسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، العدد:١٨٩، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٩٤م.
٤. جيمس تريفل: هلال نحن بلا نظير، ترجمة: ليلى الموسوى ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٢٣، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت،٢٠٠٦م.
٥. ديكارت: مقال فى المنهج ـ لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم، ترجمة:محمود محمد الخضيرى، تصدير:زينب محمود الخضيرى، المكتب المصرى للطباعة، القاهرة ، ١٩٣٠م.
٦. مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية ـ من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٣٢،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت، ٢٠٠٦م.

(رابعًا): مراجع عربية:

١. بهاء درويش: تهافت ما بعد الاستعمارية ـ نحو مبادىء أخلاقية للتعامل مع المرأة والبيئة، (فى)محمود حيدر: نحن وأزمنة الاستعمار، ط١، ج١، مجلة الاستغراب، العتبة العباسية المقدسة،المركز الاسلامى للدراسات الاستراتجية، لبنان،٢٠١٨م.
٢. سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت،١٩٨٤.
٣. رشيد الحمد، محمد سعيد صبارينى: البيئة ومشكلاتها،العدد :٢٢، عالم المعرفة ،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت،١٩٧٩ .
٤. زكريا ابراهيم : دراسات فى الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
٥. مجموعة من المؤلفين: مستقبلنا المشترك،ترجمة: محمد كامل عارف، مراجعة:على حسين حجاج، سلسلة عالم المعرفة،العدد١٤٢،المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت، ١٩٨٩م.
٦. ناهد البقصمى: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة،العدد١٧٤،المجلس الوطنى للثقافة ، الكويت، ١٩٩٣م.
٧. وجدى خير نسيم: الفلسفة وقضايا البيئة ـأخلاق المسؤلية "هانز يوناس، ط١، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.
٨. ----------: أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة،مجلة التفاهم ، العد:٦٣، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان،٢٠١٩م.

(خامسًا): رسائل جامعية غير منشورة:

١. أحمد عبد الحليم عطية : القيم في فلسفة رالف بارتون بيري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

The Problematic of Values Between Man and Environment

Applied Study in Holmes Rolston's Echological Philosophy.

Abstract

Holmes Rolston is one of the most remarkable contemporary philosophers who are concerned with ecology , especially ecological values and ethics .This importance is due to the distinction from the supporters of the classical view of ethics, especially utilitarianism.... etc., which adopt man as a provenance of values and ethics .The benefit that man desires is the ultimate good which is desirable for itself without its consequences, harm and pain solo is the extreme evil and made these principles a light for human behavior ;as human actions are not good unless they are achieved or their owner expects a benefit from them.

As for Rolston, he has been freed from this narrow classical vision of ethics and values, for his point of view, Ethics and values are no longer restricted to man alone, that is, he is the only being who is capable of producing a value judgment but there is another side in the equation that has emerged through the concept of the expansion of the ethical field, which is nature. Each has a different value .This new vision of Ruston is recognized as the comprehensive view of ecological values, which goes around the evaluation of nature with all its components of species, races and individuals - this vision does not concern with a certain type, gender or individual as was previously considered to a certain extent of the environmental equation, also his vision does not ignore the natural development of different stages of ecosystems from their beginning to what they are now as well as the distinction among the commands of nature on man ,that is ,the influence of man with nature as well as his culture and this is what we consider an innovation.